بصرى

« بصرى مدينة أزلية »

القاشندي

وضعه

سليمان عبد الله المقداد

LIBRARY

الطبعة الثانية

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

بصرى

« بصرى مدينة أزلية »
القلقشندي

وضعه

سليمان عبد الله المقداد

مقدمة

الطبعة الأولى

يطالع القارىء في هذا الدليل الموجز لمحة تاريخية عن آثار احدى مدن بلادنا التي سكنها العرب منذ أقدم العصور وتغنى بجمالها كبار الشعراء ، فكانت أول محط مدني يستقبل القوافل القادمة من الجزيرة واليمن والعراق حاملةً التجار والأدباء ، وكانت محيطاً جديداً وجواً فنياً يسعد فيه ارباب القوافل مدة من الزمن يعودون بعدها حاملين بضاعة الشام النفيسة وأخباراً وأقاصيص عن بلاد مدهشة يتحدثون بها في مجالسهم العامرة بقلب الجزيرة المباركة . تلك هي بصرى أم المدن وعروس الاياالة العربية ، عاصمة الانباط وحاضرة الغساسنة وربما كان لبصرى الميزة على غيرها من مدن العالم القديم بتلك الروعة التي تأخذ الزائر فتسري في نفسه تيارات خفية تبعث فيها شعور الاكبار والاجلال لهذه العظمة ، فيستغرق في الذكريات وهو يشاهد امام عينيه قصة قديمة تطري مآثر السلف منذ ضحى التاريخ فقد امتازت بصرى في العهود النبطية والرومانية والغسانية ـ البزنطية بكثرة العناصر التي اقتبستها عن الثقافات الأجنبية المعروفة آنذاك مثل اليونانية والرومانية ، فأبدع السكان في المزج بين شتى انواع الفنون وخلقوا فناً له طابعه الخاص يعتبر من ارقى مظاهر

الانشاء البشري . وكل ابنية بصرى تحمل على واجهاتها حضارة عشرين قرناً تقف شاهداً حياً ، يفهمه كل من أوتي حسن السمع والبصر والاصغاء ، على مرور مدنيات عظيمة فعسى ان يحبب هذا الكتاب زيارة بصرى الى الطليعة المثقفة من أبناء العروبة .

وإن من الواجب عليّ أن أشكر اولئك الذين ساعدوني في عملي ، وبخاصة مديرية الآثار العامة التي أعارتني رواسم الدليل ، والاستاذ صلاح الدين المنجد الذي دفعني إلى إظهار هذا الدليل دفعاً وأمدني بكثير من المصادر .

ولا بد لي من شكر محافظي حوران السادة الدكتور حيدر مردم بك ، وعمر العداس ، والدكتور عبد الكريم العائدي ، ورئيس بلدية بصرى المرحوم محمد المقداد ، الذين وافقوا على منحي إعانة مالية تسد بعض نفقات الدليل .

وأشكر من صميم قلبي تشجيع الاستاذ فرانك براون مدير مصلحة الآثار السابق والدكتور سليم عادل الذي أعارني كثيراً من المصادر الهامة وشجعني على الاستمرار في عملي وكبير مهندسي مصلحة الآثار القديمة السيد جمال الدين حسنين ومفتش الآثار السيد وهبي الحريري فقد ساعدوني في ترجمة بعض النصوص من الانكليزية الى العربية .

وانها لخطوة أولى لتعريف مدن حوران القديمة ، ارجو أن تكون أكمل وأوفى في الخطوة الثانية .

بصرى الشام

سليمان عبد الله القرار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

شجعني نفاذ الطبعة الأولى من كتاب دليل بصرى على الاسراع باعادة طبعه متلافياً ما وقع في الطبعة الأولى من أخطاء . ومشيراً إلى بعض المعلومات الجديدة التي ظهرت نتيجة الجهود المشكورة التي بذلتها مديرية الآثار العامة في مسرح وقلعة بصرى .

وللمرة الثانية أشكر من صميم قلبي الدكتور سليم عادل عبد الحق مدير الآثار العام الذي شكرته في المرة الأولى عندما شجعني على متابعة عملي وأمدّني بالمعلومات والمصادر التي ساعدت على إخراج الدليل ، وها أنذا أنوه بكريم عنايته وحسن رعايته التي أدت إلى إصدار الطبعة الثانية . وأشكر الأستاذ مطيع المرابط رئيس دائرة الشؤون الادارية في مديرية الآثار العامة الذي شملني بكثير من المساعدات القيمة ، والتوجيه المفيد .

كما لا يسعني إلا أن أنوه بالتشجيع النبيل الذي لمسته من عطوفة محافظ حوران الأستاذ السيد سعيد السيد الذي تفضل بمساعدتي . وأشكر الأستاذ ميكيت اليسيف عضو معهد الدراسات الفرنسية ، وجان لوكلان عضو معهد الآثار في مصر للمعلومات الثمينة التي حصلت عليها

بفضل ترجمتها لبعض النصوص الألمانية . كما أشكر الأستاذين السيدين مصطفى سحقوت وعادل قدوره اللذين قاما بترجمة بعض المصادر الانكليزية وأشكر الأخ السيد رفيق الخردجي الذي أشرف على طبع وإخراج هذه الطبعة .

انها خطوة أخرى ومحاولة صعبة تتعدى مدى امكانياتي ، ولكن شجعني على اقتحامها والأمل بالنجاح فيها نصرة اخواني وتشجيعهم ، والاقبال الشديد الذي لاقته الطبعة الأولى .

والشكر كل الشكر لمن يتفضل بارشادي إلى ما يراه من أخطاء آملاً أن تكون الطبعة القادمة أتم وأوفى وأوسع .

بصرى الشام سليمان عبد الله الفهراد

بصرى فى التاريخ

١ — العهد القديم

ان المعلومات التي لدينا عن تاريخ الأمم التي سكنت بصرى قبل العهد اليوناني ضئيلة ومشكوك فيها . ويعود الفضل في إيضاح شيء منها إلى اكتشاف لوحات تل العمارنة بمصر ، هذه اللوحات الثمينة التي تفرقت في متاحف لندرة وبرلين والقاهرة . وقد عثر عليها في عام ١٨٨٨ وهي عبارة عن كتب موجهة من ملوك آشور وبعض السوريين والفينيقيين الى فرعون مصر أمنوفيس الثالث وأمنوفيس الرابع . وقد أعطت هذه اللوحات عدداً لابأس به من اسماء المدن بلفظ لا يختلف كثير عن أسمائها الحاضرة ، ومنها أدرعي (درعا) . وكانت بصرى ، فى ذلك الحين ، قاعدة للقسم الشرقي من أرض أدوم كما يظن ومن المحقق أن الساميين قد استوطنوا بلاد حوران منذ زمن بعيد لأن جزيرة العرب كانت وطن الامم الساميّة ومنها هاجرت لضيق الارض بها الى العراق وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن . وتذكر التوراة أن بعض مدن حوران ، ولعل منها بصرى كان يسكنها العمالقة ، وان عوج ملك باشان (حوران)

كان من بقايا هؤلاء العمالقة وكانت عاصمته أدرعي (درعا) . ولم ينقطع سيل الهجرة البدوية الجارف الى حوران في أي زمن من الازمان . ويمكن الجزم بالنسبة للآثار القديمة المعروفة حالياً بان حوران كانت ذات مدنية منذ أربعة آلاف عام قبل المسيح . وممن سكن حوران الآراميون نسبة الى آرام آخر أولاد سام بن نوح . وبقي اسم هؤلاء حتى حروب اليونان وذكر معهم الرفائيون ، وهم قبيلة سامية كانت في شرقي الاردن قبل ان ينزل الكنعانيون في ارضه . ومن مشاهير ملوكهم عوج ومعناها طويل العنق أو اعوجه . وسكنها ايضاً الجرجاشيون والاموريون وهم اقوى القبائل والد اعداء الاسرائيليين وكذلك الايطوريون واليهم نسبت مملكة ايطورية (الجيدور) وهم أقرباء الانباط .

ب — اليونان

دخلت بصرى عام ٣٢٣ ق م في الجزء الذي اختص به بطليموس احد قواد الاسكندر المقدوني . وفي عام ١٦٤ ق م قامت الفتن والقلاقل في الاراضي المجاورة للاردن ، ووجد اليهود انفسهم مضطرين للهرب فلجأ قسم منهم الى بصرى حيث حاولوا اثارة الشحناء بين سكانها فاضطهدوهم وطردوهم فجاء يهوذا المكابي على رأس جيشه المؤلف من ثمانية آلاف رجل لانقاذهم ، ففتحها ولم تسفر غزوته عن أي نتيجة اذ عاد بجيشه عن طريق اليرموك . وفي عام ١٠٣ ق م عاد النزاع بين سكان حوران وبين اليهود فتقهقر اسكندر جانوس بن

جودا المكابي امام جيوش العرب وقائدها عباد التي هزمته في معركة دارت رحاها على شواطىء نهر اليرموك .

ج — الأنباط

الأنباط من القبائل العربية التي هاجرت من الجنوب الشرقي الى جزيرة العرب واستوطنت جنوبي شرقي الاردن واتخذت عاصمة لها مدينة (سَلْع) في وادي موسى . وقد اتخذوا من الجبال بيوتاً وقصوراً ثم توسعوا وامتدت منازلهم الى اراضي حوران والشام .

وقد نزلوا بصرى (واسمها بوسترا في ذلك الحين) وجعلوا منها مدينة هامة لتجارتهم ثم عاصمة لمملكتهم في أيام الملك رعبال الثاني

وقد ازدهرت بصرى في زمن الأنباط ازدهاراً كبيراً فقد كانت مركزاً هاماً من مراكز الحضارة والعمران والتجارة . وبنى فيها الأنباط قصوراً واسواراً وهياكل رائعة . وتركوا فيها كتابات قديمة تدل على نواحٍ من تاريخ الأنباط وعاداتهم واتخذوها مركزاً لتجارتهم وممراً للقوافل التي كانت تصل اليها حاملة عطور الهند والأفاويه (التوابل) وغيرها من ضروب البضاعة .

وقد دلت الأبحاث الواسعة عن الأنباط التي عقبت قراءة لغتهم وخطها منذ منتصف القرن التاسع عشر على ما كان لبصرى من اهمية كبرى في حياة هذه الأمة العربية اذ كانت مركزاً عظيماً للثقافة والعادات واللغة والديانة النبطية . وقد تأكد الآن أن بصرى قد حافظت على روح هذه الميزات بالرغم من كثرة مرور

الفاتحين بها . فقد عثر فيها على كتابات نبطية كثيرة منها واحدة تؤرخ العام الثاني من تتويج الملك مالك الأول النبطي كما اكتشف عدد من هذه الكتابات اثناء ترميم جدران الجامع العمري في بصرى من قبل مديرية الآثار العامة خلال عام ١٩٤٧ . وإنما تم دخول الأنباط الواسع الى حوران وتوطيد اركان ملكهم فيها خلال عام ٨٨ ق م عندما تغلبوا في معركة موثانا (إمتان) شرقي بصرى على جيوش انطيوخوس الثالث عشر من سلالة السلجوقيين في انطاكية ، فشتتوا شمل جيوشه بعدما قتلوه أثناء المعركة ، فكانت من أشنع الهزائم التي أنزلها العرب بالروم . وبعدها بقليل انهارت امبراطورية انطيوخوس الكبيرة . فوقعت هيبة الأنباط في جميع النفوس حتى ضرب المثل ببراعتهم وشجاعتهم . ثم استغلوا نتائج هذا الانتصار بصورة مدهشة دلت على الدرجة الرفيعة التي وصلوا اليها في التنظيم الاقتصادي والدهاء السياسي فصارت قوافلهم تتاجر بالبضائع المختلفة وتحملها إلى ابعد انحاء العالم آمنة مطمئنة مما ادى الى انعاش اقتصاديات حوران وعمران بصرى وتوفر الرخاء فيها الى ان جعلوها عاصمة للبلاد النبطية بعد عام ٧١ ميلادي في زمن الملك رعبال او (رئبال) الثاني الذي حمل لقب (الملك الذي حرر وخلص شعبه) . وفي زمنه أقيم كثير من القصور والهياكل النبطية واعتنق السكان ديانة ذي الشرى (Dusarés) — وآتي — وآموس — واللات — وكلها آلهة عبدها الأنباط واطلقوا اسمها على الهياكل الفخمة التي بنوها لاقامة الشعائر الدينية الوثنية .

د - الرومان

أغتنم الرومان فرصة وفاة الملك رعبال الثاني فألحقوا البلاد النبطية بالحكم الروماني بصورة فجائية قضوا فيها على استقلال البلاد وأصبحت بصرى عاصمة للولاية الجديدة التي احدثوها باسم « الولاية العربية » . وعندما تم الالحاق رفض الرومان الاعتراف بملك يكون خلفاً لرعبال الثاني فاستقبل السكان هذا الاعتداء على حريتهم بالثورة والاستياء . ويؤكد العالم ليتمان حصول اضطرابات واسعة في البلاد النبطية على أثر اعلان الالحاق الذي حصل في عام ١٠٥ او ٢٢ آذار عام ١٠٦ بعد الميلاد (ومن هذا التاريخ يبتدىء التاريخ البصروي الذي كانت تؤرخ به الولاية العربية وبعض المدن المجاورة لها) وعين القائد كارنيليوس بالما Cornelius Palma حاكماً للولاية الجديدة . وهو من الشخصيات العظيمة في العالم الروماني . ومن هذا نستنتج الأهمية التي علقتها روما على احتلال هذه المنطقة التي كانت مركزاً تجارياً هاماً . ووصلت الى مدن الولاية الجديدة حامية مؤلفة من افراد الفرقة الثالثة البرقاوية وعسكرت فيها بأمر الامبراطور هادريان . وقد كسرت هذه الفرقة شوكة اليهود وأخمدت فتنتهم ، ثم انتشرت على مراكز الحدود بعدما جعلت بصرى مركزاً لقيادتها وفي هذا الحين تم تعبيد كثير من الطرق ، فاتصلت بصرى بالجزيرة العربية وشرقي الأردن وفلسطين ومصر والعراق وانطاكية بطرق معبدة لاتزال بعض أقسامها باقية حتى الآن (يطلق عليها الأهلون اسم رصيف) تشهد ببراعة المهندسين الذين شقوها . وكان

فرش هذه الطرق من الحصى الرملي والكلس الذي رصفت فوقه الأحجار المربعة المستوية . ويلاحظ استقامة الطريق بفضل طبوغرافية الأرض التي كانت تمر بها . وعلى طولها نظمت محطات للحرس والمراقبين ومرابط الخيول حتى اصبح بامكان المسافر ان يقطع مسافة مائة ميل في اربع وعشرين ساعة . وأشير الى المسافات باحجار الأبعاد كل ألف خطوة ابتداء من المدينة . وقد لعبت هذه الطرق دوراً هاماً في التاريخ فعليها مرت امم عديدة . ولم تنقطع عن ارتيادها قوافل التجارة والحجاج والمسافرين ، وانتهت الأشغال في هذه الطرق عام ١٢٩ ميلادية في عهد الامبراطور هادريان .

وقد عثر بجانب احد أقسام الطريق على كتابة باللغة النبطية تعيّن بُعد موضعها عن بصرى . وهذا دليل واضح على بقاء الثقافة النبطية في حوران خلال العهد الروماني . ولكي يتمكن الرومان من حراسة هذه الطرق اوجدوا نظام المعسكرات المحصنة فبنوا منها مايتراوح عدد بين ٢٥ — ٣٠ معسكراً بعضها حصون تامة كانت متناثرة بين معان في الجنوب والقسطل في الشمال . وعثر خلال عام ١٩٤٤ على احدها شمال مدينة بصرى ، ولم يكن معروفاً من قبل . ودلت أوائل التنقيبات التي قامت بها مصلحة الآثار على قيمة هذا الموقع الذي كان مجهولاً من قبل . لم تكن مساحة الأراضي التابعة لبصرى وحدودها على اتساع واحد طيلة المدة التي اطلق خلالها اسم الولاية العربية على أراضي حوران وشرقي الأردن والتي تبتدي من عام ١٠٦ م ، حتى الفتح الاسلامي . فتشكيلاتها الادارية وتنظيماتها السياسية وشكل الحكم فيها كان يتبدل مع

تغير الأوضاع في الامبراطورية . ففي عام ٢٧ من التاريخ البصروي قسم اوغست قيصر نظام إدارة الولايات إلى قسمين القسم الأول تعود إدارته إلى مجلس الشيوخ والقسم الثاني يرتبط رأساً بالامبراطور ، فهو الذي يدير احكامه مباشرة والبلاد المعدودة في هذا القسم يكون الأمن فيها غير مستتب وأكثر سكانها لايرضون بحكم روما أو محالفتها . فكانت الولاية العربية من ولايات القسم الثاني بالنظر للعدوان الذي قابلوا فيه انهاء حكم الأنباط وتعيين كارنيليوس بالما والي سوريا حاكماً عليها .

وفي زمن ديوكليسيان عام ٢٨٤ ـ ٣٦٥ ب . م أصبح القسم الشمالي من شرقي الأردن والجزء الجنوبي من سوريا يُعرف باسم (الولاية العربية السامية) . فمن هذا الاسم الذي عثر عليه في وثائق فيرون (Document de vérone) أمكن التحقيق بان الولاية العربية قسمتْ في عهد هذا الامبراطور إلى جزئين الجزء الجنوبي وفيه البتراء واطلق عليه اسم (العربية) والشمالي وعاصمته بصرى سمي (العربية اللبنانية السامية) . ومن الطريف أن يصل اسم لبنان إلى بصرى، مع العلم بأن حدود الولاية لم تصل إلى أبعد من جبال حرمون . وفي عام ٣٨١ اختفى هذا الاسم واطلق عليها (ولاية بصرى) فقط . وبعدئذٍ وفي جميع هذه الادوار كان يعتنى بانتقاء الحاكم من بين الاشخاص ذوي المقامات الرفيعة والمواهب الممتازة المشهورة باللباقة والحنكة والدهاء إذأنه كان يمارس صلاحيات واسعة ويتولى ادارة شعب مدرك كثير الاصطدام مع النفوذ الروماني . لهذا جمع في يديه الامر بين القيادة العليا للجيش ورئاسة

مولى في الادارة ولقبه الرسمي (Legatus Augustus pro-praetore) مع نعت (consul designatus) وبعد اربعين عاماً من تاسيس الولاية أدخل تعديل جديد على نظام الادارة العليا فاسندت قيادة الجيش العليا لقائد ليس له أن يتداخل في شئون الادارة التي يتولاها حاكم مدني . وفي القرن الرابع لما شعر البيزنطيون بان تعليمات حكامهم لم تعد نافذة واضحت تقابل بعدم الاكتراث والاشمئزاز تركوا أمر الحكم للامراء الغساسنة بعد أن نظموا علاقاتهم بقناصل روما وأطلقوا على الامراء العرب لقب فيلارك (phylrche) . وكانت أحسن أيام بصرى طيلة هذه المدة ايام تراجان (٩٨ ـ ٢١٧ م) إذ أنه قام بتوسيعها وشاد فيها كثيراً من الأبنية الرائعة وسميت (Nova trajana Bostra) أي تراجانا الجديدة . وفي زمن اسكندر سيفر فازت بمنح جديدة أيضاً (عام ٢٠٨ ـ ٢٣٥ م) وعندما تولى فيليب العربي عرش روما في عام ٢٤٣ م أغدق عليها النعم ومنحها امتيازات كثيرة مما زاد في ثروتها العمرانية والاقتصادية حتى بلغت درجة متروبوليس أي من أمهات المدن (بوسترا متروبوليس) .

٥ ـ الغساسنة

الغساسنة قبيلة يمنية هاجرت من اليمن ونزلت في أرض الشام ، ويزعم جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام أن بصرى كانت عاصمة الغساسنة ، ونفى نولدكه ذلك . وحدث الواقدي بان شرحبيل ابن عمرو الغساني قتل رسول النبي إلى ملك بصرى . ويقول نولدكه أن هذا

الملك لم يكن سوى قائد بصرى التي كان الروم قد استردوها حديثاً وقد أدى هذا التناقض الصريح في الروايات إلى اضطراب تاريخي في الكلام عن هذه القبيلة اليمنية التي حلت ببصرى ولم يعرض لها المؤرخون الا بايجاز كلي وأحسن مايمكن اقتباسه من الحوادث الصحيحة المعروفة عن الغساسنة فيما يتعلق باحوال بصرى في ذلك العهد هو ان سكانها قد تنصروا بعد أن حافظوا على دياناتهم الوثنية مدة أربعة قرون بعد الميلاد ، وتعلموا الصلاة وتصدقوا على الفقراء وصاموا في مناسكهم . وكانوا يحسنون الكتابة باللغة النبطية والسريانية فيقرأون بالأخيرة الصلوات والطقوس ويستعملونها في الجدل الديني الذي نشأ بينهم بعد البدع الجديدة القائلة بالطبيعتين والطبيعة الواحدة للمسيح وكان سكان بصرى في اكثريتهم الساحقة من القائلين بالنظرية الثانية أي من اليعاقبة وكثيراً مااشترك امراء غسان في المجامع التي عقدت للنظر في هذه القضايا التي كانت بصرى (وهي كرسي اسقفية بلاد العرب) أهم مركز تجري فيه مناظرات الفريقين المتخاصمين حولها . وذكر حنا الأفسسي أنه عندما اعتقل الرومان الملك المنذر الغساني قام أبناؤه الاربعة وثاروا على دولة الروم وأخذوا يشنون عليهم الغارات . وساعدهم سكان بصرى واضطروا حاميتها الرومانية إلى أن تتخلى لهم عن الذخائر الحربية وأموال أبيهم المحفوظة فيها . وكان ذلك في عام [illegible] ميلادية . ولما اراد هرقل ان يعزز نفوذ الغساسنة بعد استيلاء على الفرس عام ٦٢٩ ونصب جبلة بن الأيهم ملكاً عليهم

كانت جيوش المسلمين تضغط على الحدود الجنوبية فلم يتمكن من تحقيق ارادته . وقبل الفتح الاسلامي بقليل توسعت المسيحية في بصرى وحوران واصبحت اسقفية بصرى في الدرجة الثالثة بين الاسقفيات . وكانت على صلة مع روما . ويمكن الاستدلال على اهمية مكانتها الدينية من بقايا ابنيتها المسيحية الكثيرة وقد اشتهر كثير من اساقفتها الذين ذكروا في المجمع الانطاكي والقسطنطيني والافسسي والخلكيدوني . وجاء في نصوص تاريخية ان الحارث الغساني زار القسطنطينية عام ٥٤٣ وكانت الغاية من هذه الزيارة طلب اسقف يعقوبي ليرسم كهنة بصرى بعد ان شرد الاساقفة واقفلت ادیارهم لقولهم بالطبيعة الواحدة . وتوصل الحارث بمساعدة الامبرطور تيدور إلى ان يرسم رجلا يدعى تيودوس وهو عربي الجنس واللسان على ان يقيم في بصرى . ويمكن التأكيد بان قومية اهل بصرى لم تتأثر بالنفوذ الروماني فقد حافظوا طول المدة التي حكموا فيها على خلاصة السجايا العربية ، ولكن ذلك لم يمنعهم من الاقتباس والابتكار والابداع في نقل الصناعات الجميلة ومسايرة النهضة الفنية في العالم . وفي اوائل عهد الدعوة المحمدية اخذ سكان بصرى يتناقلون فيما بينهم احاديث الرسول واخباره وانباء بعثته واعماله وفوزه على الوثنيين . ولربما كانوا ينظرون اليه وكأن الله ارسله للانتقام من خصومهم الروم . والواقع ان اخبار البعثة المحمديه احدثت انقلابا فكريا وروحياً في نفوس السكان لانهم كانوا ينظرون الى عرب الحجاز كاخوان لهم ويشعرون ان الاسلام هو دين فطرتهم . ويقول غربيونو بأن العرب المسيحيين قادوا الحملة الاسلامية الى فتح

بشرى فكان البيزنطيون — اذا ما استعادوا مدينة او قرية انتقلت مع العرب - ينتقلون من السكان . ويقول احد مؤرخي ذلك العهد ان اللسان ليعجز عن وصف ما فعله الروم من الشرور عند انتزاعهم » . ولقد بلغ الشماسنة اوج مجدهم في عهد الحارث الذي كان من القوة بحيث كانت كلمته تذهب تشريعاً يعمل به من شمال سوريا الى الجوف وربما الى تيماء .

و — الرسول العربي في بصرى

وفي هذا العهد جاء الرسول الى بصرى مع عمه ابي طالب فقد كانت قبلة عرب الجزيرة ومدينتهم الجميلة التي ينقلون منها بضاعة الشام وغيرها من الامصار . ولقد اذهشت هذه الزوار بقصورها الشامخة وأبنيتها المنظمة ومناظرها الجميلة . ويؤكد الآب لامنس انه قد عقدت غير مرة اتفاقات تجارية بين تجار مكة والموظفين الاداريين بمدينة بصرى . وقد كان من زائريها الخليفة عثمان بن عفان لكي يقيم صلاة تجارية مع تجارها ، وكان ذلك قبل البعثة بقليل . وعلى الراجح فان رحلة الرسول الى بصرى كانت في عام ٥٨٢ ب م قال ابن الاثير في الكامل « ثم ان أبا طالب خرج الى الشام فلما أراد المسير لزمه رسول الله (صلعم) فرق له واخذه معه ، ولرسول الله تسع سنين ، فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان ذا علم في النصرانية ومن ينزل بتلك الصومعة يصير اليه علمهم وفيها كتاب يتوارثونه فلما رآهم بحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك لأنه رأى على رسول الله

غمامة تظلله من بين القوم ، ثم اقبلوا حتى نزلوا في شجرة قريباً منه فنظر الى الشجرة وقد هصرت اغصانها حتى استظل بها ونزل اليهم من صومعته ودعاهم . فلما رأى بحيرا رسول الله (صلعم) جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى اشياء في جسده وكان يجدها من صفته . فلما خرج القوم من الطعام سأل النبي عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر الى خاتم النبوة بين كتفيه وقال لأبي طالب : ما ينبغي ان يكون أبوه حياً قال فانه ابن اخي مات أبوه وأمه حبلى به ، قال صدقت ارجع به الى بلدك واحذر عليه من اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليصيبنه شر فانه كائن له شأن عظيم . فخرج به عمه حتى اقدمه مكة » ولما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره قدم بصري بتجارة لخديجة بنت خويلد وحضر سوق بصري فباع سلعه واشترى غيرها . وخبر هذه الرحلة مفصل في السيرة الحلبية وكتب التاريخ .

ز — فتح بصري

ذكر الواقدي في كتاب فتوح الشام حديثاً طويلا عن فتح بصرى يستفاد منه ان بصرى مدينة كثيفة السكان قوية الحامية غنية الاسواق ، وأنها كانت محجاً للناس وملتقى القوافل . وفي ذلك يقول خالد بن الوليد مخاطباً شرحبيل بن حسنة «اما علمت ان هذه ميناء الشام والعراق » يقصد بصرى . وخبر افتتاحها مشهور ومفصل في تاريخ الواقدي ، فقد كان المسلمون حولها (في عام ١٣ للهجرة

في ٦٤٣ م.) عندما قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق فأمروا خالداً في حربها ثم هاجموها وضيقوا عليها حتى ألجأوا قائد حاميتها وكانه أصحابه إلى داخل السور. فلما عجز المدافعون عنها وتخلوا مطالح أهلها بواسطة واليها رومانوس الذي اعتنق الاسلام وانضم إلى لعرب بعد أن أمن دماء وأموال الأهالي على أن يؤدوا الجزية في قول، وعلى أن يؤدوا عن كل بالغ ديناراً وجريب حنطة في قول آخر وأشار القعقاع بن عمر عند فتح بصرى:

بدأنا بجمع الحارثين فلم ندع لغسان أنفاً فوق تلك المحاجر
صبيحة صاح الحارثان ومن به سوى نفر نجتذهم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة فألقت إلينا بالحشى والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس في اليرموك جمع العشائر

وكان لسقوط بصرى دويّ كبير تردد صداه من جميع الأنحاء وظهرت نتائجه السريعة فيما بعد خلال المعارك التي دارت بين العرب والروم إذ تبدلت روح الهزء والاستخفاف الذي قابل بها جنود رومانيا هجوم بدو الصحراء على سوريا بخوف ورعب لما يعرفونه من مناعة بصرى وشدة حاميتها، كما انهم فقدوا الثقة بسكان البلاد العرب لمسيحيين. وهكذا كان فتح بصرى ايذاناً بتحرر سوريا وجلاء لرومان عنها.

ح — بصرى بعد الفتح الاسلامي

لم تحمل المصادر التاريخية المعروفة حتى الآن شيئاً يذكر عن

بصرى في عهد الأمويين سوى قيام الحرث أحد موالي الخليفة يزيد الثاني وعثمان بن الحكم احد أقرباء الخليفة بترميم جدران جامع بصرى العمري . وفي زمن العباسيين حصل في حوران اضطرابات بسبب ثورة السكان مع الأمويين تحت قيادة حبيب بن مرّة المرّي . وقد قمع هذه الحركة عبد الله بن علي في عام (٧٥٠ م) وهو عم الخليفة أبي العباس وقد ذكر ابن عساكر في خبر أبي الهيذام أحد فرسان العرب وشجعانهم وزعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن بدمشق في أيام الرشيد « انه ركب هو وابنه وغلامه وكانوا في بصرى وخرجوا على الناس وهم منهزمون حتى انتهوا إلى ملعب الروم ، وهو حصن في مدينة بصرى وتسامعت خيل أبي الهيذام فجاءوا من كل وجه » . وقد بقيت بصرى خلال هذا العهد ممراً لقوافل الحجاج والتجار ومركزاً يستريحون به ويتهيأون لسفرهم الطويل .

ط — الفاطميون والايوبيون

استفادت بصرى شيئاً من مكانتها السالفة في أيام الفاطميين والايوبيين فقد عثر في قلعة بصرى على كتابة مؤرخة في عام ٤٨١ للهجرة تحمل اسم أحد ولاتها في ذلك الحين ويدعى عبد الملك أبا منصور ، وهو أحد الولاة الثلاثة الذين شادوا كثيراً من الابنية الاسلامية في بصرى في عهد الفاطميين وهم شمس الدين سنقر الحكمي وأبو منصور كمشتكين وهو أشهرهم إذ انه كان قائداً لجيوش دمشق ووالياً على بصرى وصلخد ، وقد رمم جامع الخضر وقسماً من الجامع العمري وبنى

المدرسة الحنفية التي بقيت الاثر الوحيد المحتفظ بشكله إلى وقتنا الحاضر ومن ولاتها أتابك زنكي (٥٣٤ هـ) وهو والد نور الدين زنكي ومعين الدين أنز (٥٤١ هـ) والتونتاش وفخر الدين سرجاك (٥٤٦ هـ) وقد جاء في تاريخ القلانسي عن حوادث عام ٤٩٧ للهجرة انه خرج اينكين الحلبي صاحب بصرى إليها هارباً لتدبير كان بينه وبين ارتاش بن تاج الدولة فعاثا بناحية حوران فساداً وراسلا بلدوين ملك الافرنج يستنجدين به وتوجها نحوه وأقاما عنده مدة يحرضانه على المسير إلى دمشق فلم يحصلا منه على نتيجة ، فلما يئسا من نصرة الافرنج قصدا لرجبة وأقاما بها مدة ثم تفرقا ثم طلبا من ظهير الدين الامان فأجابهما لى ما التمساه فسلما بصرى إليه وخرجا منها ووفى لهما بما وعدهما من لأمان والاقطاع وزاد على ذلك . وفي عام ٥٢٠ هـ توجه واليها أمين دولة كمشتكين بمهمة سياسية الى مصر ثم عين اسفهسلاراً عسكرياً خوطب بالاتابكية . وفي عام ٥٣٤ هـ سلمت قلعة بصرى الى أتابك نكي . وفي عام ٥٤٥ هـ اتفق منكورس هو وجماعته من الاتراك التركمان مع الامير سرجاك والي بصرى على مضايقة قرى حوران منع الفلاحين من الزرع فتوجه إليها نور الدين مستصحباً معه آلات لحرب والمجانيق لمحاربة واليها سرجاك الذي أخذ يتقرب من الافرنج ندما حاربهم عندما حاصروا بصرى وردهم على أعقابهم . وفي عام ٥٤ هـ استقر الصلح بين واليها وبين نور الدين وعادت الجيوش لمحاصرة الى دمشق وقد قتل هذا الوالي غيلة في عام ٥٥٦ هـ في مة بصرى بتدبير تقرر بين الامير علي وبين جولة زوج ابنته ومن افقه من أعيان خاصته . وقد استعصت بصرى على الصليبيين في هذا

العهد لما أتاها بلدوين الثالث ملك اورشليم (عام ١١٤٩ م) بعد أن فتح كثيراً من بلاد الاسلام . وكانت بصرى بيد وال الامة طاقمش ويسميه العرب التوتاش . فلما توسط الطريق صارت فرق المسلمين تفاجئه فذاقت جيوشه أمرّ العذاب فعاد عنها خائباً . والتجريدة الثانية كانت سنة ١١٨٢ في أيام بلدوين الرابع وفيها لاقى الصليبيون جيوش بصرى فلما شاهدوا مناعتها وقوة جيوشها نكصوا عنها مدبرين بعد خسارة عظيمة . وممن اشتهر من ولاتها في هذا الحين وقاموا بأعمال عمرانية لا تزال قائمة الظافر بن الناصر ، وسنقر الطغرلتكي الذي بنى أول برج من أبراج القلعة ، وركن الدين منكورس وكان من خيار الامراء وأتقاهم ، وله صدقات كثيرة ، وهو الذي بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف كثيراً من الاوقاف كما انه بنى أربعة أبراج قلعة بصرى ، وبدر الدين داود بن ايدكين ، وشمس الدين سنقر بن عبد الله الصالحي ، والشهاب غازي ، وشجاع الدين عنبر الصالحي والصالح اسماعيل ابن العادل ، وكان عاقلا حازماً تقلبت به الاحوال أطواراً كثيرة . وقد كان الاشرف قد أوصى له بدمشق فملكها شهور ثم امتنعها منه أخوه الكامل ثم ملكها من يد الصالح أيوب مدة أربع سنوات الى أن استعيدت منه فاستقرت بيده بلدان بصرى وعجلون الى أن اخذتا منه .. وما كاد الايوبيون يختفون حتى اخذ شأن بصرى في الانحطاط تدريجياً بعد أن أصبحت « دار ملك لبني أيوب » .

ي ـ المماليك وبنو عثمان

فقدت بصرى شيئاً من مكانتها في أيام المماليك وأصبحت مقر ولاية بسيطة ، غير ان ذلك لم يمنع من تشييد عدد من الابنية الاسلامية فيها . منها مئذنة جامع فاطمة التي بنيت في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٥ هـ . ومن مشاهير بصرى في عهد المماليك فخر الدين البصراوي عام (٧١٤ هـ) الذي تولى حسبة دمشق ، ومحمد ابن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي القاسم البصراوي الحنفي الذي تولى الوزارة بدمشق عام (٧٢٣ هـ) . وفي عام (٧٦٠ هـ) كان يتولى ادارتها والي الولاة المعروف بشنكل منكل ، وقد اشتهر بقسوته وشدة بطشه في أحكامه . وفي عام (٧٦٦ هـ) ولي دمشق الامير علم الدين سليمان البصراوي . ولم تقع حوادث هامة تستحق الذكر خلال حكم المماليك ولا نجد في كتب التاريخ سوى نص نستدل به على أن بصرى كانت لا تزال حتى عام (٧٤٦ هـ) ممراً لقوافل الحجاج والتجار .

ويتميز العهد العثماني (١٥١٦ ـ ١٩١٨) في بصرى بحصول حادثين مهمين ، أولهما دخول عرب العنزة وهجرة دروز جبل لبنان الى حوران . فعرب العنزة زحفوا من قلب الجزيرة العربية في منتصف القرن السابع عشر وأول قبيلة وصلت منهم الى بصرى عشيرة الحسن والفدعان وقد رافق دخولهم وقوع بعض الاضطرابات التي أقلقت الأمن مما حول طريق الحجاج من بصرى الى المزيريب في حوران . ورفض أهالي بصرى أن يدفعوا الخوة (وهي نوع من الجزية) التي أقرت بها بعض قرى حوران الى هؤلاء العربان وكذلك هجرة الدروز التي

بدأت في اواخر القرن السابع عشر خاصة من عام ١٦٨٥ و ١٧١٦ فقد رافقها مناوشات كثيرة بين سكان بصرى والدروز . وفي أوائل هذا القرن ثارت بصرى على الحامية التركية المعسكرة فيها واشتركت في الثورة العربية وفي الحركات التحريرية التي سبقتها وكانت خلال هذه الفترة مركزاً لقضاء بصرى ، وتتولى إدارته قائمقام مدني . وفي هذا العهد الأخير (العهد التركي) اطلق عليها اسم بصرى اسكي شام أي الشام القديمة .

بصيري الحاضرة

تقع بصرى فوق منبسط من الارض يعد من أحسن المواقع بين الأراضي القريبة منها . وتبعد عن دمشق مسافة ١٤١ كيلو متراً إلى الجنوب . ويبلغ عدد سكانها ما ينوف عن خمسة آلاف شخص . ومع انها قريبة من الصحراء فان تربتها صالحة جداً للزراعة . ولعل ما يشاهده الزائر من سنابل الحنطة وأغصان الزيتون وقطوف العنب المنجوتة على الاحجار المبعثرة في سائر أنحاء المدينة شاهد على عناية سكانها القدماء بالزراعة وحرصهم على استخراج خيرات التربة . ولعل مستقبل بصرى الاقتصادي يبشر بالازدهار اذا حصل الاهتمام الكافي بالنواحي الاقتصادية والزراعية وتجميل المدينة بتنفيذ مخططها العمراني الذي وضعته مديرية تنظيم المدن بالاشتراك مع مديرية الآثار العامة . ويبلغ ارتفاع المدينة عن سطح البحر ٨٤٠ متر . ومياهها صالحة للشرب . وأفقها يعطي الزائر منظراً خلاباً وصورة جذابة فيبدو جبل الشيخ كخط لامع تحت أشعة الشمس المشرقة التي ينعكس شعاعها على التربة والاحجار البازلتية فيظهر عليها لون غير لونها الطبيعي . ويصل بصرى بدمشق طريق معبد وخط حديدي . وفيها مركز للبريد وغرفة للهاتف ومخفر للدرك وعدد من دوائر الحكومة . وهي مركز لناحية بصرى

التابعة لمحافظة درعا . ومع إنها اشتهرت قديماً بصناعة السيوف وتصدير الحرير فان صناعتها تقتصر الآن على صنع البسط المعدة للبيع المحلي . وأشهر ثمارها العنب . وتصدر كمية لا بأس بها من الحنطة والشعير والعنب إلى المدن المجاورة . وفي أسواقها تباع حاصلات دمشق ومنتجاتها إلى أهالي جبل الدروز وسكان جنوب سوريا من الفلاحين والعرب الرحل .

كيف تزور أبنية بصرى

يجب أن يخصص الزائر ثلاث ساعات على أقل تقدير كي يستطيع أن يشاهد أهم أبنية بصرى التاريخية بصورة سريعة . ويستحسن أن تكون هذه الزيارة في الصباح حيث يكون الجو معتدلا في جميع أيام السنة ، أو بعد الظهر فيما بين الثالثة والسابعة مساء . وعلى الزائر أن يتجنب الوصول إلى بصرى خلال فصل الخريف بين ساعات الظهر والعصر إذ يكون هبوب الرياح شديداً خلال هذا الوقت . وفي بصرى يستطيع الزائر أن يطلب مرافقة الموظف المعين من قبل مصلحة الآثار ليكون دليله في القلعة . وقد حرصنا على ذكر أماكن المدينة التاريخية في هذا الدليل بصورة تتفق مع مرور الزائر بها ، فزيارته تبدأ بأول مكان يستقبله وتنتهي بآخر مكان يودعه بحيث انه لا يمر بالبناء أكثر من مرة واحدة ومن أقرب طريق كما هو موضح فيما يلي :

١ ـ باب المدينة .
٢ ـ قوس النصر .
٣ ـ السقاية .
٤ ـ الكلية .

٥ ـ السوق ... ٦ ـ جامع الخضر .
٧ ـ النبع . ٨ ـ الجامع العمري .
٩ ـ الحمام الأيوبي . ١٠ ـ جامع فاطمة .
١١ ـ دير الراهب بحيرا . ١٢ ـ جامع مبرك الناقة .
١٣ ـ البركة الشرقية . ١٤ ـ بركة الحاج .
١٥ ـ مدرسة أبي الفداء . ١٦ ـ العمود النبطي .
١٧ ـ الكاتدرائية . ١٨ ـ الباب النبطي .
١٩ ـ قصر تراجان . ٢٠ ـ الحمامات الرومانية .
٢١ ـ القلعة والمسرح . ٢٢ ـ الملعب .
٢٣ ـ المدفن الروماني .

ملاحظة هامة جداً !

يرجى من الزائر أن يتفضل بتجنب الفوهات والجدران الخطرة في الأماكن التي لم تتم فيها الأشغال داخل القلعة وذلك بالسير مع اشارات الاسهم المرشدة الواضحة على جدران القلعة . ومن الممنوع قطعياً النزول إلى المناهي المظلمة دون أن يكون الزائر مصحوباً بدليل يحمل النور الكافي لتنوير الطريق تلافياً لوقوع أي حادث مكروه لا سمح الله .

ومن المفيد أن أذكر حضرات السيدات والآنسات بأنه من المستحسن استعمال الأحذية ذات الكعب الواطي (سبور) حفظاً لراحة الأقدام وتجنباً للغبار في بعض الطرق !

المدينة ، مخططها ، تنظيمها العام

إننا لا نعرف شيئاً كاملاً عن مدينة بصرى قبل العهد الروماني . ومخطط المدينة كما هو ظاهر في هذا الدليل يشبه تخطيط المدن اليونانية والرومانية القديمة فتبدو اسوارها مستطيلة وسكانها كانت مستطيلة الشكل ذات ابواب معينة في اماكن متقابلة . وكان تخطيط الشوارع المتقاطعة مع المستطيل الكبير على مقدار عظيم من الدقة والإتقان ، فقد حرصوا على أن تكون عريضة ومزينة بالاعمدة والأروقة التي تضفي الظل أمام واجهات المخازن التجارية الضخمة . ويظهر شكل السور من الجهة الغربية كقوس متجه نحو الشمال . وأحسن أقسامه الظاهرة في الزاوية الشرقية الشمالية . ومن مراجعة الأبحاث الموجزة التي كتبت عن هذا الجدار تأكد للاستاذ كليرمون غانو أن الأنباط العرب هم الذين رفعوا أساسه كما تقول إحدى الكتابات النبطية التي عثر عليها بجانبه . وقد جعلوا عرض الجدار اربعة امتار وارتفاعه عشرة . وهذه الكميات الكبيرة من الانقاض التي تلوح للزائر عندما يقترب من باب المدينة هي بقايا حجارة السور التي تحجب تحتها جميع أقسامه المنخفضة وابراجه الكثيرة المتناثرة بين الابواب . ومما يلفت النظر مدى عمران المدينة القديم وكثافة سكانها في ذلك العهد البعيد بالنسبة لما هي عليه في وقتنا الحاضر . ولم أتمكن من إدخال باب المعسكر الروماني المكتشف حديثاً ضمن المخطط لأن الاشغال التي بوشر بها لدراسة هذا المعسكر واقسامه لم تتم حتى الآن .

١ ـ باب المدينة

يسمى اليوم (باب الهوا) وهو اول بناء أثري يستقبل الزائر القادم على طريق دمشق ـ درعا ـ بصرى بالسيارة . ويعود تاريخ بنائه الى اوائل القرن الثاني للميلاد ومن المؤكد انه بني في عصر متأخر عن بناء السور الذي يتصل به من الجانبين غير ان طريقة بناء الباب تختلف الى حد كبير عن طراز تركيب حجارة الجدران . فالباب مبني على الطراز الروماني الجميل . وكان مؤلفاً من قوسين يعلو احدهما الآخر ومن عدة عضايد وزوايا في غاية من التحصين والاتقان والاحكام . ومن حسن الحظ ان تمكنت بعثة جامعة برنستون من نقل صورة الباب قبل خراب القوسين في اوائل هذا القرن كما تراه في الأعلى .

وعندما يجتاز المتفرج باب المدينة إلى الداخل ويسير في الشارع الكبير يلاحظ وجود أعمدة على طرفي الشارع . وهي أعمدة نقلت منذ زمن قريب ووزعت على جوانب الشارع الكبير لتكون رمزاً لتلك الأعمدة القديمة التي كانت تزين الأسواق .

مكتبة المهتدين

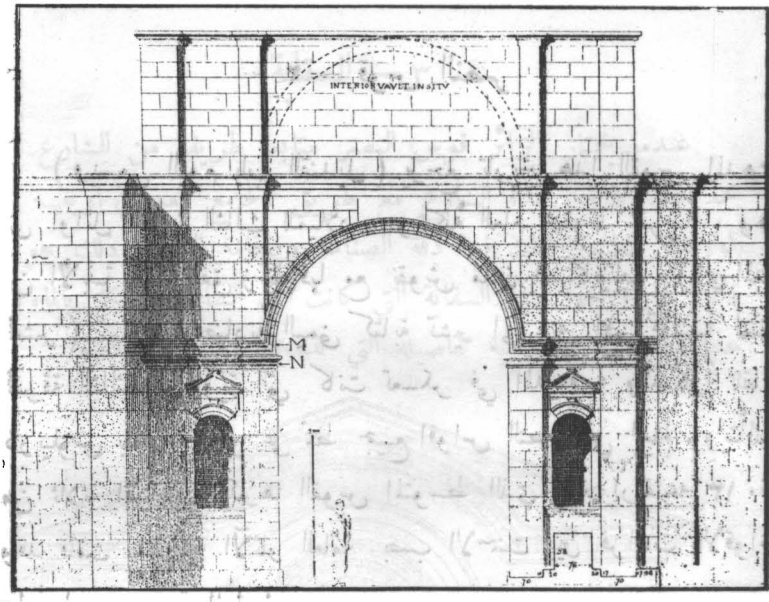

١ — منظر تأسيسي لباب المدينة

١ — باب المدينة

٢ — قوس النصر

(ويسمى اليوم باب القنديل) يرجع تاريخ هذا القوس المدهش الى اوائل القرن الثالث للميلاد . وشكله العام محفوظ تقريباً . وهو من الأبنية التي تتفق زخارفها مع نقوش مدن الديكابوليس (اي المدن العشر) . وعلى عضادته اليمنى كتابة تشير الى انه اقيم تخليداً لظفر الفرقة الثالثة البرقاوية التي كانت تعسكر في المدينة ، وتذكاراً للقائد كارنيلوس بالما . وهو على نمط جميع اقواس النصر في العالم . ويتألف من ثلاثة اقواس اكبرها القوس المتوسط الذي يبلغ ارتفاعه ١٣ متراً وقد قامت مديرية الآثار العامة بصب الاسمنت بين فراغات الاقواس والجدار من جهة الداخل .

٢ — قوس النصر

٣ — السقاية

عندما يجتاز الزائر قوس النصر متابعاً طريقه من الشارع الكبير يجد عند تقاطع هذا الشارع مع طريق الجامع العمري اربعة أعمدة كورنثية عظيمة تجلت فيها دقة الصناعة وفخامة الفن . ذلك هو ما بقي قائماً من واجهة بناء السقاية التي كانت تمد السابلة والسكان بالماء ويتميز هذا الأثر الجميل باهمية تفاصيله التي تنسجم مع هيكله العام .

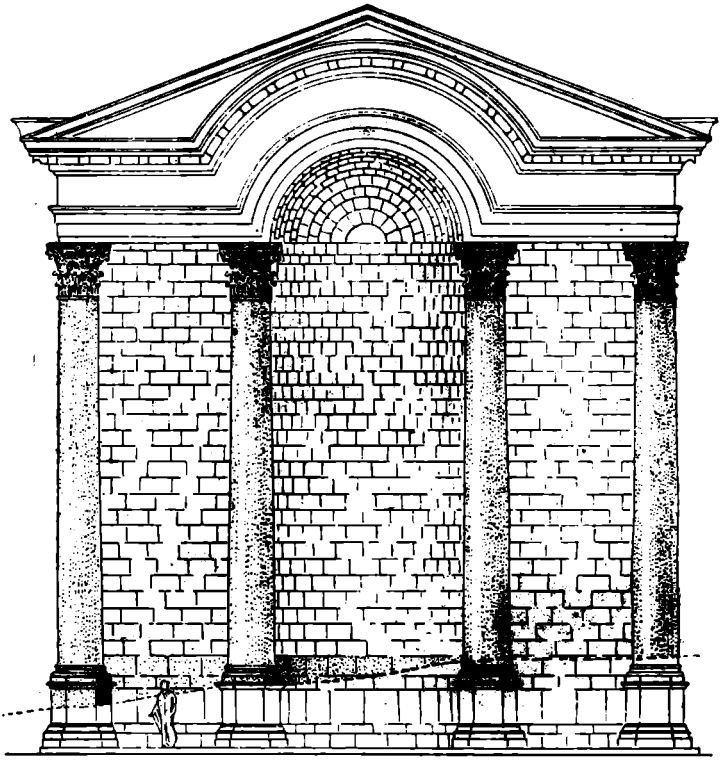

٣ — منظر تأسيسي للسقاية

٣ — السقاية بحالتها الحاضرة

فبعد أن سقطت الجدران المبنية بين الأعمدة بقيت هذه واقفة في مكانها فوق ركائز مثمنة الشكل فنية التركيب . ويبلغ قطر العمود الواحد ١٢٠ سنتمتراً وارتفاعه مع القاعدة (المحجوبة بالتراب) ما ينوف على أربعة عشر متراً . وتيجان هذه الأعمدة مرتفعة أكثر من المألوف عن مثيلاتها ، ويعود تاريخ بنائها الى القرن الثاني بعد الميلاد .

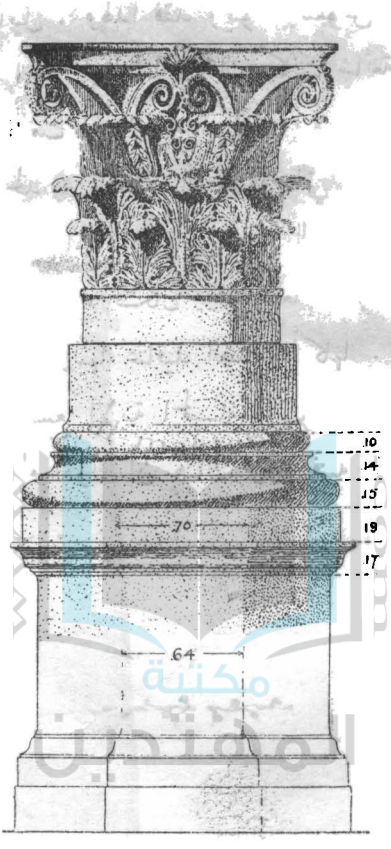

٣ — السقاية تفاصيل زخارف التاج مع قاعدته

٤ — الكلية

(ويسمى اليوم سرير بنت الملك) أطلق علماء الآثار اسم كلية على هذا النوع من الأبنية الكثيرة الانتشار في حوران ، وهو على الأصح بناء ديني شيد في العهد الوثني لتحل فيه أرواح الآلهة المرموز إلى أشخاصها بالتماثيل . ولهذا فقد زينوه بالنقوش التي تستهوي الناظر بما حوته من دقة الحفر والزخارف التي كانت شائعة كثيراً في أيام الرومان . وقد تهدمت اجزاء هذا الأثر الجميل ولم يبق منه سوى جزء صغير من الجدار وقطعة الزخرفة التي تتوجه ويزعم اهالي بصرى أن احد ملوك المدينة قد بنى هذا القصر المرتفع ليحفظ ابنته العزيزة من خطر الموت . فكان يرفع الطعام إليها بواسطة سلة . وفي إحدى المرات أرسلوا إليها عناقيد العنب لتأكلها . ويظهر ان عقرباً كان بين القطوف فلسع الابنة الجميلة فماتت ! . واذا أمعن الزائر النظر في نقوش البناء أدرك أن هناك ثروة فنية واشكالا رشيقة بارعة تأخذ بمجامع القلوب .

٥ — السوق

(ويسميه الأهالي خان الدبس) ظنه بعض علماء الآثار حمامات رومانية ولكن تأكد بعدئذ انه سوق تجاري لا يظهر منه سوى جدرانه الضخمة وبعضها مسقوف . وكان السوق عبارة عن صحن طوله ٧٠ متراً بعرض ٢٠ وله ابواب كثيرة مرتفعة وجدران لها تجاويف مستديرة مستطيلة . وفيه كان يجري تبادل البضائع بين التجار . وتبقى البضائع محفوظة فيه أثناء الليل بعد اغلاق الأبواب كما هو جارٍ في خانات الشرق الى هذا الحين . وفيه قسم مسقوف معدّ لعرض البضائع في ايام الشتاء الباردة وايام الصيف الحارة حتى لا يتعرض الناس لعوامل الطبيعة والغبار . وفي هذا القسم أعدت غرف صغيرة لحفظ الودائع والأمانات . وتفاصيل هذا البناء مغطاة اكثرها بالأبنية الحديثة التي تحجبها .

٦ — ٧ . جامع كمشتكين ، ونبع الجهير

(ويسمى اليوم جامع الخضر) مسجد اسلامي قديم جداً يطلق عليه الأهالي اسم جامع الخضر نسبة الى المقام المجاور له والمعروف بمقام الخضر . ويظهر ان هذا المسجد قد تهدم قبل اوائل القرن السادس للهجرة فأمر بتجديده في عام ٥٢٨ هـ أمين الدولة ابو منصور كمشتكين الاتابكي والي بصرى في ذلك الحين . والجامع مبني على شكل مربع يبلغ طول أحد أضلاعه ٧٤٠ سم ويستند سقفه المقطوع من الحجر البازلتي قوسين مرتكزين على أعمدة . ويظهر فوق محرابه بقايا نقوش عربية محفورة على الجبصين . والمئذنة مفصولة

عن الجامع بممر ضيق ، وأكثر أقسامها مهدوم . ويرى الزائر فوق عتبة الباب هذه الكتابة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بتجديده الأمير الاسفهسلار الأجل السيد الكبير المخلص المختار عز الدين ربيع الاسلام امين الدولة عضد الله سيف الأمة شجاع الملوك تاج الأمراء شرف الخواص فخر الجيوش ظهير المجاهدين ذي العزيمتين أبي منصور كمشتكين الأتابكي الظهيري معين أمير المؤمنين من خاص عتيقيه آمين . . في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة » .

وفي القرب من المسجد من جهة الغرب بقايا دار رومانية صغيرة مؤلفة من دورين وبعض غرف في إحداها قبر يزعم الاهالي انه مقام الخضر ويزورونه أيام الجمع للتبرك ويمر الزائر بعد أن يترك مسجد كمشتكين بنبع الجهير الذي يشرب منه الاهالي ، وفيه جدران رومانية . ومياهه مقبولة المذاق ومن هناك تظهر للناظر بقايا حمام قديم على شكل القبة وذلك من جهة الشمال بين كروم العنب

٨ — الجامع العمري

من أروع الآثار الاسلامية القديمة المحتفظة بتفاصيلها المعمارية وهيكلها الأصلي العظيم . وهو أول مسجد بناه المسلمون في سوريا عند الفتح أيام الخليفة عمر بن الخطاب ويعرف بالجامع العمري نسبة إليه . ويسميه السكان (جامع العروس) وكان من قبل هيكلا وثنياً وهو المسجد الوحيد الذي بني في عهد الاسلام الاول وحافظ على طراز واجهته القديمة إلى وقتنا الحاضر . وجميع أعمدته لا تزال في مكانها الأساسي مع العلم ان ترميمات كثيرة حصلت فيه . وعلى عمودين منها كتابات يونانية وعلى الثالث كتابة لاتينية وفي داخل المسجد كتابات نبطية وعربية تمثل عهوداً مختلفة ، أما مئذنته الجميلة ذات الشكل المربع فيرجع تاريخ

انشائها إلى القرن الثاني عشر للميلاد عندما بلغ المسجد ذروة مجده .
وقد أظهرت أشغال مديرية الآثار العامة عندما باشرت بترميم جدرانه نقوشاً وكتابات عربية كانت تحيط بجدران المصلى وهي محفورة على الجص بينها آيات قرآنية مثل « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلى آخر الآية وآية الكرسي » ويرى الاستاذ سوفاجيه انها تعود إلى طراز

٨ — من نقوش الجامع العمري العربية

القرن الثاني عشر عندما كانت بصرى تجابه جيوش الصليبيين وهو أحد المساجد الثلاثة التي تحتفظ بالطراز الاسلامي القديم وهي مسجد الرسول بالمدينة وجامع عمرو بن العاص بمصر والجامع العمري ببصرى. وكان للأشغال التي تقوم بها مديرية الآثار العامة حالياً في هذا المسجد أهمية كبرى إذ انها حرصت على اعادة رونقه القديم كما كان وأظهرت كتابات جديدة كثيرة . ويبدو لنا المصلى وقد أعيد إلى حالته القديمة وثلاثة أروقة لم يبق منها سوى الأعمدة التي كانت ترفع الاقواس . وقد تم ترميم المصلى المكوّن من أعمدة رخامية مختلفة الطراز منها الكورنثي والدوري والايوبي وهي تحمل الاقواس التي كانت مسقوفة بأحجار طويلة استبدلت بالاسمنت المسلح عند الترميم . وفي الصحن الداخلي فوارة كان يعلوها قبة لطيفة . وللجامع ثمانية أبواب تؤدي إلى المساكن والاسواق مما يدل على عمران المدينة ورواج تجارتها . وقد حجب تراكم الانقاض نصف الرواق المستند على جدار المسجد الشرقي من جهة الخارج . وكان يصعد إلى الباب بدرج بينما نرى الآن العكس . ويرى الزائر على جدار الجامع الشرقي من الجهة الخارجية هذه الكتابة :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المسجد الجامع المبارك بعد نقضه الامير الاسفهسلار الأجل السيد الكبير المخلص المختار عز الدين ربيع الاسلام امين الدولة أبو منصور كمشتكين الاتابكي معين أمير المؤمنين رغبة في ثواب الله تعالى وغفرانه في أيام مولانا الملك ظهير الدين طغتكين .

اتابك سيف أمير المؤمنين في شهور سنة ست وخمسمئة »

منظر عام للجامع الكبير من الخارج

٨ — منظر الجامع العمري من الداخل

٩ — الحمام الأيوبي

ويقوم في شرقي الجامع حمام أيوبي تتصل مجاريه بفوارة الصحن . ويستعمل هذا الحمام في وقتنا الحاضر بيتاً للسكن . ومن أعلى المئذنة يشاهد الزائر منظراً جميلاً للمدينة والقرى القريبة منها .

١٠ — جامع فاطمة

يقع هذا الجامع بين الكاتدرائية ودير الراهب بحيرا وهو مبني على طراز جامع كمشتكين ولكن على شكل أوسع . ويرجع تاريخ بنيانه إلى أيام الفاطميين . غير ان الترميمات الكثيرة التي اجريت له غيرت إلى حد كبير معالمه الأثرية فلم يبق منها سوى بعض الاقواس والمنارة المفصولة عن المسجد .

ويرى الزائر على يمين باب المسجد كتابة عربية اختفت بعض كلماتها التي تذكر اسم المنشىء وتاريخ البناء . وعلى المئذنة كتبت آية الكرسي وآية شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى آخر الآية ، وكتابة ثانية هذا نصها :

بسم الله الرحمن (غير مقروء) عمارة هذه المأذنة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه وغفرانه .

ايوب ابن عيسى النجراني (غير مقروء) مولانا السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون خلد الله ملكه .

اشارة المقر العالي الجمالي الرستمي أعز الله نصره وذلك في شهر رمضان المعظم سنة خمس وسبعماية .

ومن هذه الكتابة يتضح ان المئذنة بنيت في زمن متأخر عن بناء الجامع .

١١ — دير الراهب بحيرا

يعد هذا المعبد من أقدم كنائس المدينة . فقد بني على الطراز (الملكي) مما يؤكد احتمال تشييده في القرن الرابع بعد المسيح . وهو يختلف عن الكنائس الاخرى الموجودة في المدينة بالتفاصيل المعمارية . وأجمل مافيه قوس المذبح البيضوي الشكل فهو من أروع الاقواس التي تجلت فيها مهارة البنّاء وجمال المنظر . ويظهر ان واجهة البناء قد رممت في عصر متأخر ولا يزال باقياً منها زواياها الجانبية الاساسية ونصف عمود ايوبي في كل ناحية . ويروي السكان ان اجتماع الراهب بحيرا بالرسول العربي قد تم في هذا المعبد .

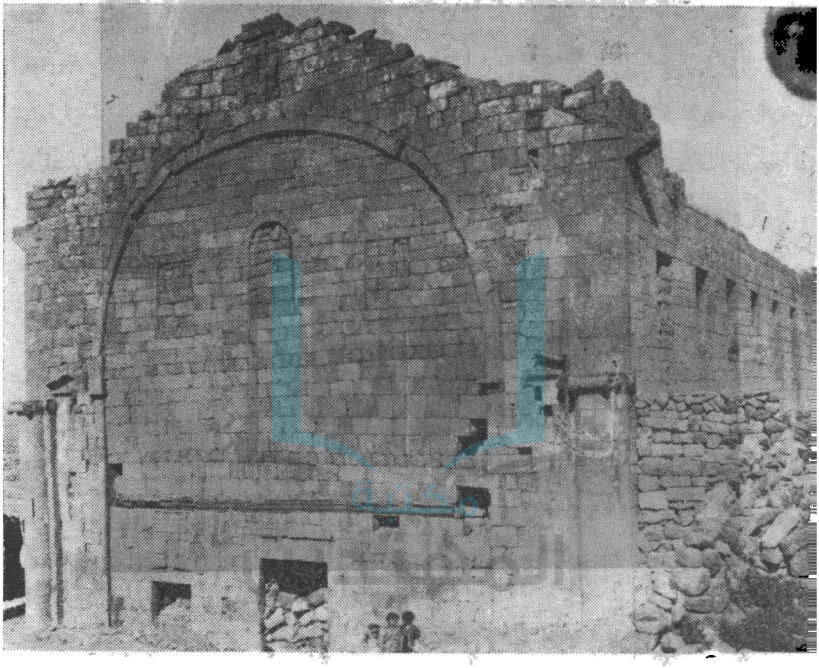

١١ — منظر عام للدير

١٢ — جامع مبرك الناقة

يقترن اسم هذا المسجد بذكريات تاريخية عظيمة متعاقبة . ففيه بركت الناقة التي حملت أول نسخة من القرآن إلى سوريا حيث حفظت فيه . ومنه تخرج كثير من كبار العلماء . ويروي البعض انه بني فوق الارض التي أقام عليها الرسول عندما جاء إلى بصرى ثم بقي مدة طويلة مركزاً ثقافياً تعاقب على التدريس فيه أئمة علماء المذهب الحنفي أمثال الشيخ صفي الدين ابي القاسم التميمي وولده الشيخ فخر الدين بن عثمان وحفيده الأمير علم الدين سليمان البصراوي (وهؤلاء تولوا ادارة التدريس فيه ما ينوف على المائة عام) ثم دفن فيه أحد ابناء الخديوي عباس باشا الذي كان يرافق عرب العزة ليتعود حياة البداوة . وهو وان كان قد اعتدى عليه فأفقده كثيراً من تفاصيله المعمارية من بناء ونقوش ورخام الا أن ما بقي منه يشعر بما كان عليه من الروعة والكمال فقد بقي مدة طويلة محجة لألوف المسلمين الذين يتوافدون عليه للتبرك بزيارته . ويقع جامع المبرك في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة . ويتكون من ثلاثة اقسام رئيسية لكل منها محرابه . واقدم قسم فيه واكثره احتراماً هو القسم الغربي لأن امام محرابه وضعت البلاطة التي ركعت عليها الناقة التاريخية . وحائطه الشمالي يعد انموذجاً ممتازاً لطريقة البناء العربية وتقليد الفن الروماني مع النقوش المسطحة . وقد نشر برنيو وبتلر وبوركارت وغيرهم تفصيلات وافية عن هذا البنـاء الاسلامي وخاصة عن الجزء الشرقي الذي كانت تقـام عليه حلقات التدريس . ويظهر انه بني بعد القسم الغربي بأجيال عديدة . وهو مصلب من الداخل . وكان مغطى بقبة كبيرة عند تقاطع الصليب . وأمثلة هذا البنـاء نادرة في سوريا .

ويعتقد الاستاذ سوفاجيه انها المدرسة الوحيدة في نوع هندستها العامة بسوريا وقد اثبت تاريخ بناء القسم الشرقي في لوح رخامي فوق احدى نوافذ الواجهة الشمالية وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة من خالص ماله الأمير الاسفهسلار الأجل الكبير المخلص اتابك عز الدين ربيع الاسلام امين الدولة عضد الله سيف الأمة شجاع الملوك تاج الأمراء شرف الخواص ظهير المجاهدين فخر الجيوش ذي العزيمتين

١٢ — منظر عام لجامع مبرك الناقة

ابى منصور الاتابكى معين امير المؤمنين وفقه الله واسعد وقفاً على الفقهاء والمتفقهة الذين يلازمون درس العلم وتلاوة كتاب الله تعالى على مذهب الامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت ابتغاء ثواب الله ورضوانه ورحمته وغفرانه وذلك في شهر رمضان من سنة ثلثين وخمسماية للهجرة .

وهذا نص الكتابة التي كانت على شاهدة قبر ابن عباس باشا

ونشرها الأستاذ وستزن وبرينوث وراى ولا تزال هذه الشاهدة مفقودة منذ ذلك الحين .

امسيت ضيف الله في دار الهنى .
وعلى المضيف كرامة الضيفان .
تعفو الملوك عن نازل في سوحهم .
كيف النزيل بساحة الرحمن .

هذا قبر محمد باشا ابن المرحوم عباس باشا وصي عرش مصر توفى ٩ ذي الحجه عام ١٢٧٠ هجرية (أي تشرين اول عام ١٨٥٤) وبعد أن اوصى عباس باشا بدفن ولده في مسجد مبرك الناقه بصرى أمر بأن يرمم المسجد ولا يوجد دليل يؤكد تنفيذ هذا مر فيما بعد .

وتحيط بهذا المسجد مقبرة قديمة فيها قبور تعود إلى العهود النبطية ورومانية والاسلامية حتى يومنا هذا .

١٤ — الخزانات

يوجد في بصرى خزانات كثيرة للمياه أعظمها ما يسميه الاهالي كة الشرقية) و (بركة الحاج) الأول على مسافة قصيرة من يق السويداء شرقي المدينة ، وتظهر جدرانه الشرقية للعيان من رب جامع المبرك ، وقد دمر قسم منه في اوائل هذا القرن ، وهو شكل مربع تقريباً يبلغ طول ضلعه الشمالي ١١٤ متراً وضلعه قي ١١٢ متراً فمع انه اصغر حجماً من الخزان الثاني فان له لافضلية عليه في وقتنا الحالي لأن المياه لا ترشح منه فيستفيد منها لاحون باسقاء طروشهم ومواشيهم . ويبلغ ارتفاع جدران هذا لخزان ما يقارب ستة امتار بعضها مطمور بالرواسب . ويتفق في طرازه

مع بناء الخزان الثاني (بركة الحاج) الذي يقع في مواجهة القلعة . ويحتمل انه كان داخل السور . وهو في حالة جيدة لولا تسرب المياه من جدرانه مما يسبب نضوبها في اواخر فصل الخريف . ويبلغ طول ضلعه الشمالي ١٥٥ متراً وضلعه الشرقي ١٢٢ متراً . وترتفع الرواسب المتراكمة فوق ارض الخزان الاساسية ما يقارب اربعة امتار فيكون عمقها ما يزيد على ثمانية امتار .

وهناك اختلاف في الرأي فيما يتعلق بعمر هذين الخزانين اللذين يأخذان مياههما من وادي الزيدي فبورتر وبتلر يعتقدان انهما من بناء الرومان بينما يقول بوزكارت وغيره انها عربية ومن نفس عصر القلعة الأيوبية . غير أن علماء الآثار المعاصرين اجمعوا على انها رومانية . ويعتقد بتلر انها بنيت بنفس الزمن الذي اقيمت فيه اسوار المدينة فتكون عندئذ نبطية . وقد روعي أن يكونا في الجزء المرتفع من المدينة ابتغاء تغذية الحمامات والنافورات العامة في المدينة وإسقاء خيول الفرقة الثالثة البرقاوية ايام الرومان . ثم استفيد منها فيما بعد لتموين قوافل الحجاج العظيمة في العصور الوسطى بالماء . وقد عثر في بعض انحاء المدينة على مجاري المياه والقناطل الرصاصية والفخارية التي تصل بين هذين الخزانين وبين الحمامات والبيوت القديمة . وبناؤها من الحجر البازالتي المنحوت . ويبلغ متوسط سماكة الجدران ثلاثة امتار . وقد اقيم خلف بعض اضلاع الحوائط جدران ساندة لتثبيتها في مكانها ولمنعها من تهريب المياه . وفي وجه الحوائط من الداخل دعامات تفصلها مسافات مساوية لها في العرض . وتعد بركة الحاج من اكبر مثيلاتها في الشرق ، ولها منظر خلاب ومظهر جذاب عندما تكون مملوءة بالمياه خاصة في ايام الربيع المشرقة وليالي الصيف المقمرة .

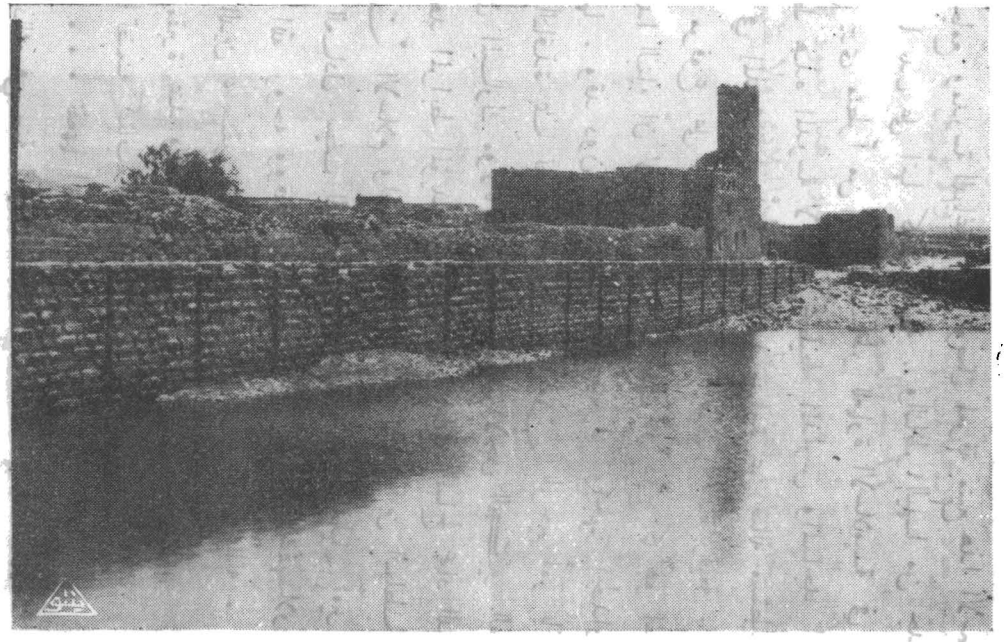

١٣ — بركة الحاج ومدرسة ابي الفداء

١٥ — مدرسة ابي الفداء

عرفت هذه المدرسة (وهى من آثار الأيوبيين) بين الأهالي باسم جامع ومدرسة الدباغة . ولم أتوصل لمعرفة منبع هذا الاسم وليس هناك ما يدل على أنها كانت مدبغة . والناظر اليها من جدار بركة الحاج يرى منظراً من أروع المناظر للعمارة الاسلامية في بصرى . ومخطط هذه المدرسة لا يشبه تخطيط المدارس والمساجد الاسلامية القائمة في المدينة ، إذ أنها في الأصل عبارة عن صالة مستطيلة الشكل سقفها مرفوع على ستة أقواس تستند فوق أعمدة رفيعة . والغريب في هذا البناء أن لا يكون لمنارته سقف أو درج كما هو المألوف في مثيلاتها . وقد دون تاريخ بناء المدرسة على واجهة الجدار الجنوبي فوق النافذة بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا المكان المبارك مولانا السلطان السيد الأجل الكبير العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور الملك الصالح عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو الفداء اسمعيل بن السلطان الشهيد الملك العادل سيف الدين ابو بكر ايوب خليل أمير المؤمنين قدس الله روحه ووقفه وحبسه الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير شمس الدين ، سنقر عبد الله الصالحي مدرسة أيام حياته .

ومقبرة عند وفاته حسب
ما تضمنه كتاب الوقف وأثبت فيه من الوصف
. . . . نفعهما الله

وذلك في سنة اثنين وعشرين وستمائة للهجرة النبوية .

وتجاور هذه المدرسة تربة أيوبية دفن فيها شرف الدين ايوب

ابن الأمير الكبير ياقوت والي قلعة بصرى المتوفي سنة ٦٥٤ . ولهذه التربة مدخل من أجمل الأقواس الاسلامية ثم اضيف اليها مسجد صغير بني في عام ٦٥٥ بناه الأمير ياقوت المذكور . وبجانب المسجد مقبرة اسلامية قديمة يعود تاريخها إلى أيام الفاطميين والأيوبيين .

١٦ — العمود النبطي

من الآثار النبطية الفريدة من نوعها في سوريا هذا العمود النبطي الذي يعد انموذجاً ممتازاً للفن النبطي قبل العهد الميلادي ولا يظهر من

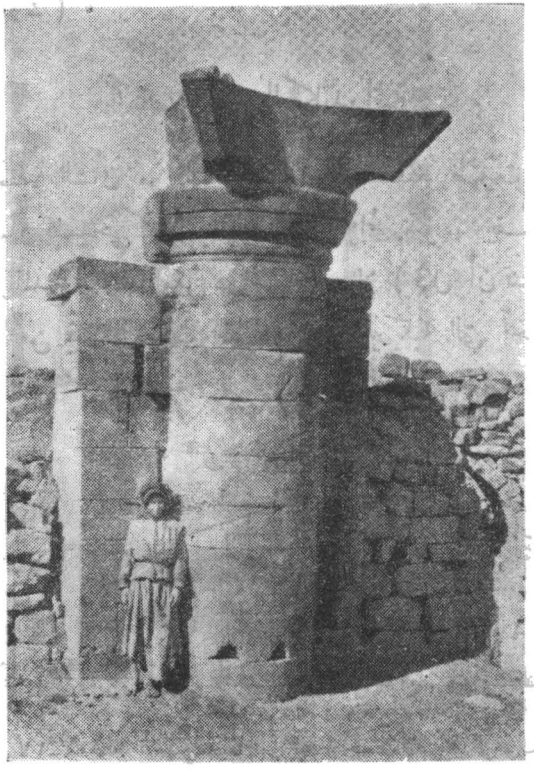

هذا العمود في وقتنا الحاضر سوى قسمه العلوي والتاج ، إذ ان اقسامه الباقية مغطاة بالبيوت الحديثة المحيطة به . وكل ما نراه في هذا العمود مركب تركيباً هادئاً ومنسجماً مع هيكله العام . وهو خير شاهد على حضارة العرب الأوائل .

وعلى مسافة مائة متر شرقي هذا العمود تقوم بقايا هياكل ومعابد رومانية وآثار نبطية كثيرة واعمدة كورنثية جميلة وتجاويف بديعة الزخرفة ، ومنها جامع صغير يعود تاريخه إلى عام ٣٠٥ هجرية (جامع المبارك) .

١٧ — الكاتدرائية

بناء عظيم الشأن من الناحية المعمارية ، فقد ظهرت عليه اول قبة في عالم البناء المسيحي ولا يظهر منها للزائر سوى بقايا الجدران الخارجية والمذبح . وقد امكن دراستها مفصلا (قبل أن تنالها يد الخراب كثيراً) من قبل البعثات الفرنسية والاميركية التي أخذت لها مناظر

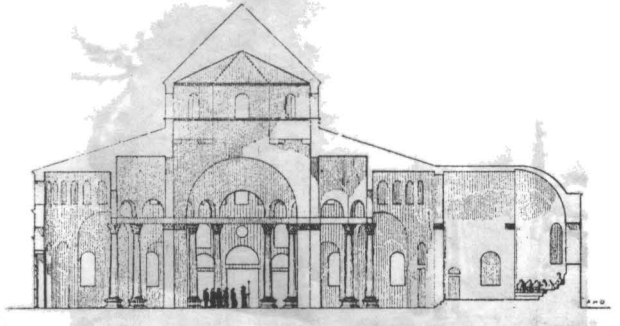

١٧ـ مقطع تأسيسي للكاتدرائية (حسب نظرية كرفوث)

متقنه . ولدفوغيه الفضل في لفت الانظار إلى اهميه هذه الكاتدرائية في كتابه سوريا الوسطى عام ١٨٦٥ وكانت ملاحظاته عن تنظيم البناء مدهشة جداً وقام وادنفتون بنقل الكتابة التي تعطي تاريخ تأسيس الكاتدرائية فتبين منها أن تاريخها يعود إلى شهر آذار عام ٥١٣ م.

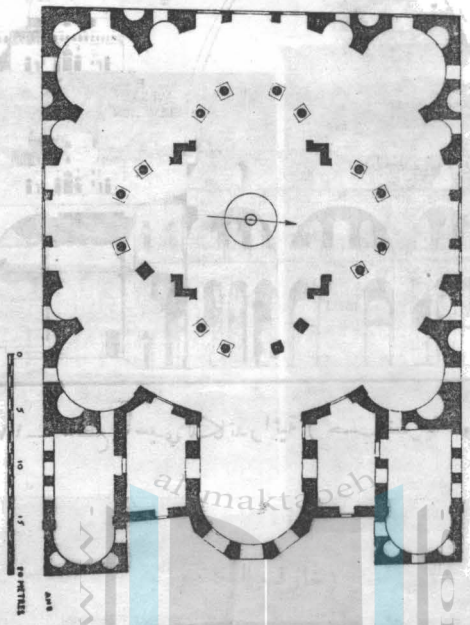

١٧ـ مخطط الكاتدرائية

ويظهر أن قبتها الكبيرة قد تهدمت (يبلغ طول قطرها ٣٦ متراً) بعد اتمام البناء بمدة قليلة من جراء تصدع الركائز التي كانت تقوم عليها . وكانت زخارف المعبد الداخليه مؤلفة من النقوش والأشكال الملونة . فقد شاهد دوفوغيه على جدار المذبح بقايا صورة للعذراء وهي

القسطنطينية وكنيسة رافين وجعل كنيسة بصرى مثالاً للمهندسين الذين خططوا بناء هذين المعبدين . غير أن هؤلاء تفادوا الأغلاط التي وقعت عند بناء كاتدرائية بصرى فبقيتا سالمتين . وكان بانيها جوليانوس . وهو رئيس اساقفة عربي له مقام رفيع بين الكهنة وشأن عظيم لدى الناس لاستقامته وصراحته المقرونة بالجرأة التي عانى بسببها كثيراً من

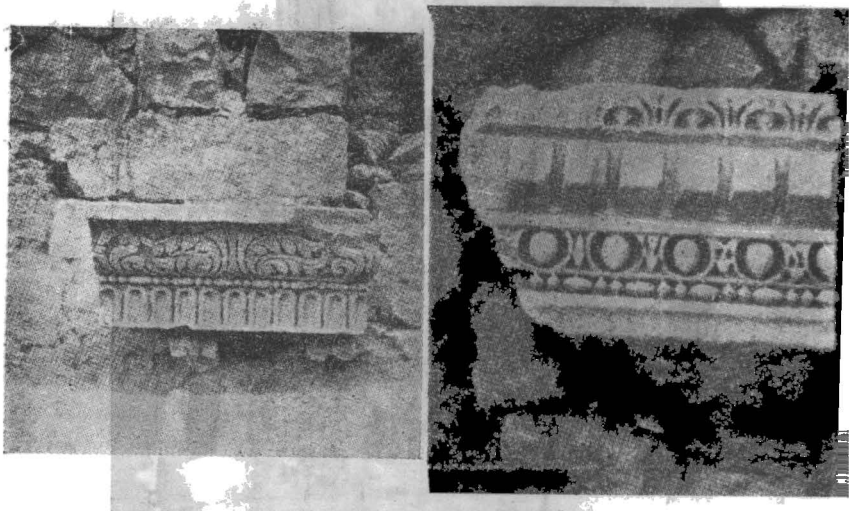

١٧ـ بعض زخارف الكاتدرائية

الآلام والمصاعب . وقد نفي من بصرى بنفس العام الذي فتحت به الكاتدرائية ابوابها بسبب رفضه التوجيه الذي بعث به سفيروس بطريرك انطاكية ولكنه عاد إلى مركزه في بصرى بعد وفاة الامبراطور انستاسيوس الذي كان يساند بطريرك انطاكية ضد رئيس اساقفة بصرى . ويروى أن بعض اخصامه السياسيين وضعو السم في كأس شراب قدموه ليه . وقد شرب الكأس بعد أن رسم علامة الصليب فلم يؤثر السم ، في جسمه .

فاتحة ذراعيها . اما من جهة الخارج فكان فيها تجاويف ونوافذ وابواب جميلة . ويبلغ طول هـذا المعبد ٥١ متراً بعرض ٣٧ متراً ونصف . وقد اقام الامبراطور جوستنيان بعد سنين قليلة كنيسة اياصوفيا في

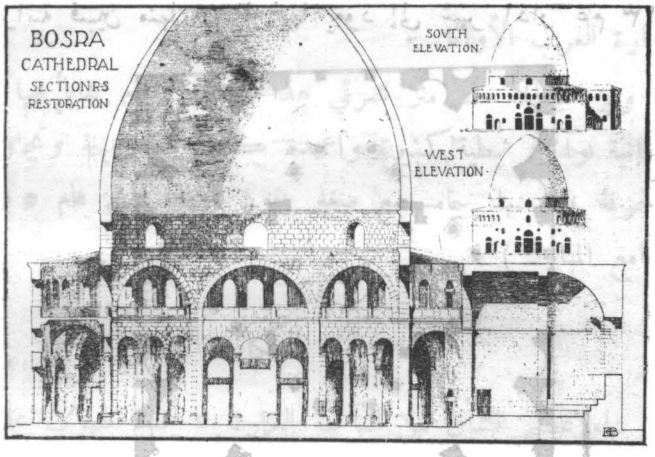

١٧ــ مقطع تأسيسي للكاتدرائية (حسب نظرية دوفوغية)

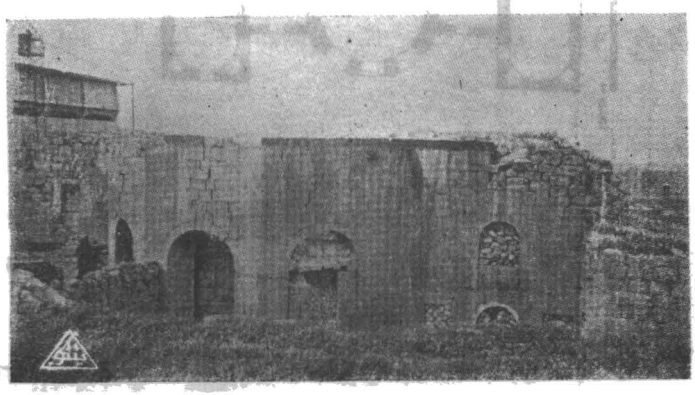

١٧ــ منظر لجدار المذبح من جهة الخارج

١٧ — منظر الجدار الخارجي للكاتدرائية

١٨ - الباب النبطي

يعد هذا الباب من الآثار النبطية الوحيدة من نوعها في سوريا فلا يماثله في الطراز والشكل إلا آثار الأنباط في البتراء . وهو دليل

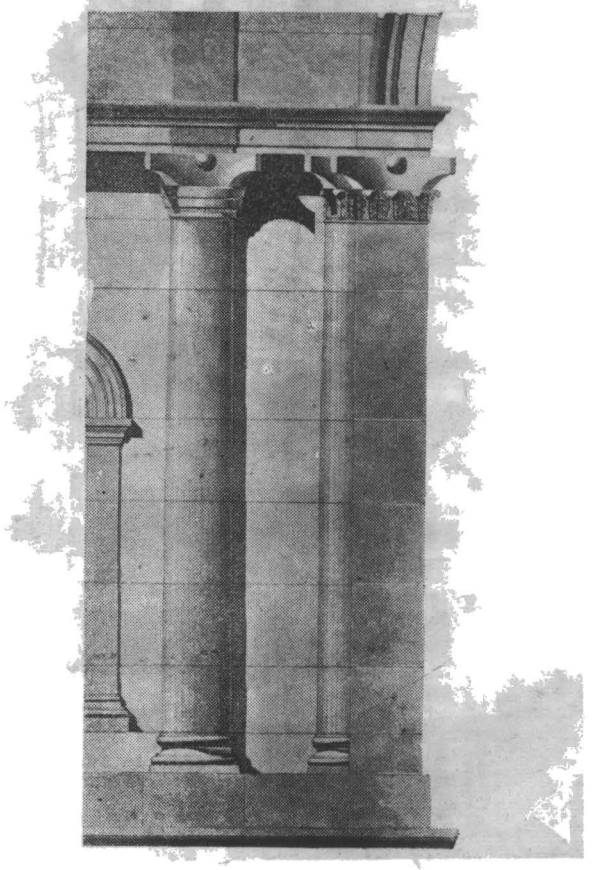

١٨ - تفاصيل تيجان الأعمدة والزخارف التي تزين واجهة الباب

١٨ - الباب الزيلي في حلب المعاصرة

خالد على حضارة العرب قبل العهد الروماني . ولا تزال انقاض البيوت المستندة على هذا الباب تجعل من الصعب دراسته بصورة صحيحة . وقد ذهب بعض العلماء إلى الظن بأنه بوّابة لقصر الملك رئبال الثاني النبطي . وهو عبارة عن قوس ضخم له فتحة واحدة عريضة مرتفعة وتحت كل عضادة من عضادات القوس غرفة صغيرة . وشكل النقوش الظاهرة على الواجهة تتناظر مع زخارف البتراء ، وفيها تقليد لبعض نواحي الفن اليوناني الروماني .

١٩ — قصر تراجان

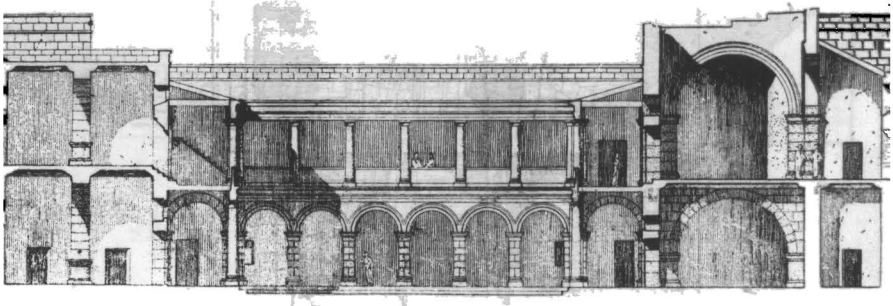

مقطع تأسيسي لقسم من بناء القصر

من أروع الأبنية المدنية القديمة في سوريا من الناحية المعمارية . ويقع هذا القصر بين الباب النبطي وبركة الحاج . ويتعذر على الزائر مشاهدة البناء كله بصورة صحيحة لأن أكثر أقسامه والفناء الداخلي محجوبة بالأبنية الحديثة التي تسكنها عدة عائلات من الفلاحين . والقصر يشغل مستطيلاً طوله ٥٠ متراً بعرض ٣٣ متراً . ومدخله من الجهة الشرقية . وهو مؤلف من دورين يزينهما رواقات مرفوعة على أعمدة

من الجهات الشمالية والجنوبية . وتفاصيلها المعمارية بلغت حد الكمال من التنظيم والاتقان. والجهة الخارجية من الجدار الشرقي مزينة بتجاويف مربعة ومستديرة أعدت لوضع التماثيل . وفي هذا القصر كان ينزل حاكم الولاية العربية الرومانية .

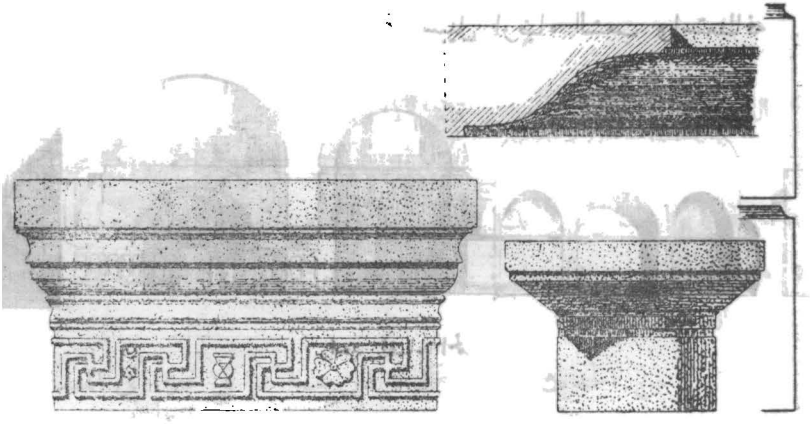

١٩ - مثال لزخارف القصر

٢٠ — الحمامات الرومانية

لقد حجبت الأبنية الحديثة اكثر اقسام حمامات مدينة بصرى . وهي تتألف من عدة غرف وصالات ، منها الغرف التي تنزع فيها الثياب حيث أعدت أماكن خاصة لحفظها في الجدار ثم ينتقل المستحم إلى غرفة ثانية وثالثة ورابعة تعده شيئاً فشيئاً إلى الانتقال من الهواء البارد في الخارج إلى قبول الحرارة الداخلية وكان من الممكن تعديل حرارة الحمام بواسطة ترس معلق تجاه فوهة الموقد بسلسلة يستطيع المستحم أن يشدها أو يرسلها فينزل ويصعد الترس أمام الفوهة . وكان

الاستحمام من مظاهر الحياة الاجتماعية المهمة . وقد أصبح عادة يومية يقوم بها السكان قبل مغيب الشمس بأربع ساعات . وقد فرض رسم في بادئ الأمر يدفع عند الدخول إلى الحمام ، حتى اذا عمّت عادة الاستحمام وأصبح الحمام من مرافق الحياة العامة أخذ بعض أغنياء المدينة ينشئون الحمامات المجانية في سبيل ارضاء الشعب واستعطافه .

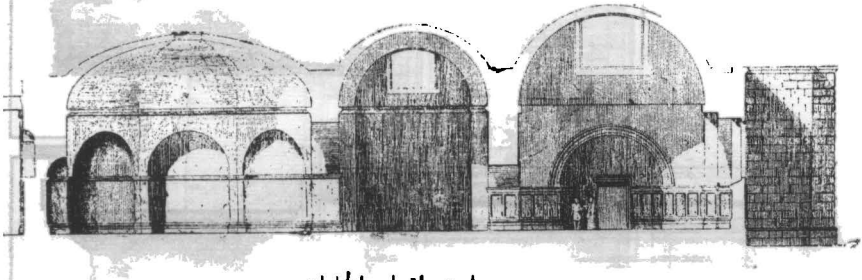

احد اقسام الحمامات

٢١ — القلعة والمسرح

تميز عهد الحروب الصليبية العمراني بتشييد الكثير من الحصون والقلاع ومن أشهرها قلعة بصرى العربية ويتضح لنا مراحل بناء هذا الحصن الكبير من قراءة الكتابات العربية الماثلة على أبراجه الشاهقة . وكان الاعتقاد السائد حتى عام ١٩٤٨ ان جميع تحصينات القلعة وأبراجها من بناء الأيوبيين في القرن السابع للهجرة إلى ان اسفرت أعمال السبر والتعزيل عن ظهور بعض كتابات وجدران أثبتت ان بناء القلعة تم على عدة مراحل بعد ان اتخذ العرب من المسرح الروماني نواة لبناء القلعة . وقد ظهرت على التحصينات روعة من البناء العسكري مما يدل على ان معماري القرون الوسطى لم تنقصهم الوسائل والمعلومات ،

فعملوا على التقدم بفن البناء ، ونجحوا فيه حتى ان بعض احجار زوايا القلعة المرتفعة المنحوتة ، يتجاوز طولها خمسة أمتار . كالحجر الذي يشاهد الآن على زاوية البرج الغربي الشمالية . وقد صمدت هـذه القلعة أمام الكثيرين من الغزاة ، وتعذر عليهم الدخول اليها .

مراحل بناء القلعة

العهد الأموي والعباسي ـ قام العرب بعد فتح بصرى بسد جميع أبواب ونوافذ المسرح الروماني التي تفتح الى الخارج بجدران محدثة ومتينة فحولوا المسرح بذلك إلى حصن منيع لا يمكن الوصول اليه إلا من أبواب حجرية صغيرة . كما هو ظاهر الآن في جدران جناح المسرح الغربي الخارجية .

ويستدل من الحديث الذي ذكره ابن عساكر في خبر أبي الهيذام احد فرسان العرب ، وزعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن بدمشق في أيام الرشيد . « انه ركب هو وابنه وغلامه وكانوا في بصرى ، وخرجوا على الناس وهم منهزمون حتى انتهوا إلى ملعب لروم ؛ وهو حصن في مدينة بصرى . وتسامعت خيل أبي الهيذام فجاءوا من كل وجه ... » من هذا النص يتبين لنا ان المسرح كان محصناً على هذه الصورة حتى ذلك الحين .

العهد الفاطمي

تم في هذا العهد بناء ثلاث ابراج ملاصقة لجدار المسرح الخارجي تماماً . الأول في الجهة الشرقية ويستند على جناح المسرح الغربي وبجانبه

عثر على كتابة من أواخر القرن الخامس . وهي تدلنا على ان درج هذا البرج قد عمر في أواخر هذا القرن . وهذا نص الكتابة التي يراها الزائر في مكانها حتى الآن . ٢٥١ × ٣٨ س م ارتفاع السطر ٧ س م « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا الدرج الأمير الأجل الاسفهسلار عبد الملك شمس الدولة ومجدها أبو منصور كمشتكين الحاصل تاريخه جمادى الأولى من سنة احدى وثمانين وأربع ماية . »

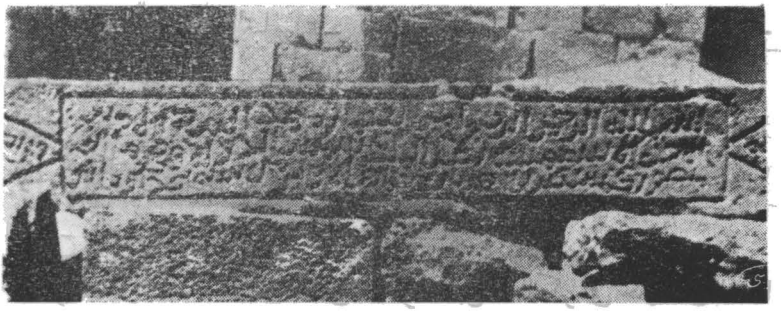

صورة فوتوغرافية للكتابة

والبرج الثاني يقع في الجهة الشمالية الغربية في المكان الذي ينحني به خط نصف دائرة المسرح وبداخله عثر خلال عام ١٩٤٩ على كتابة تؤرخ بناء البرج ويمكن أن يراها الزائر على الممشى الواقع أمام المدخل العلوي الذي ينفذ إلى البرج . وهذا نص الكتابة وهي على حجر بازالتي ١٦٦ × ٦٥ . « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما . أمر بعمارة هذا البرج المبارك الأمير الاسفهسلار الأجل السيد الكبير المؤيد المظفر المنصور العالم العادل معين الدين سيف الاسلام فخر الدولة حسا (م) . الملك عز الأمة صفوة الخلافة نصير الملوك

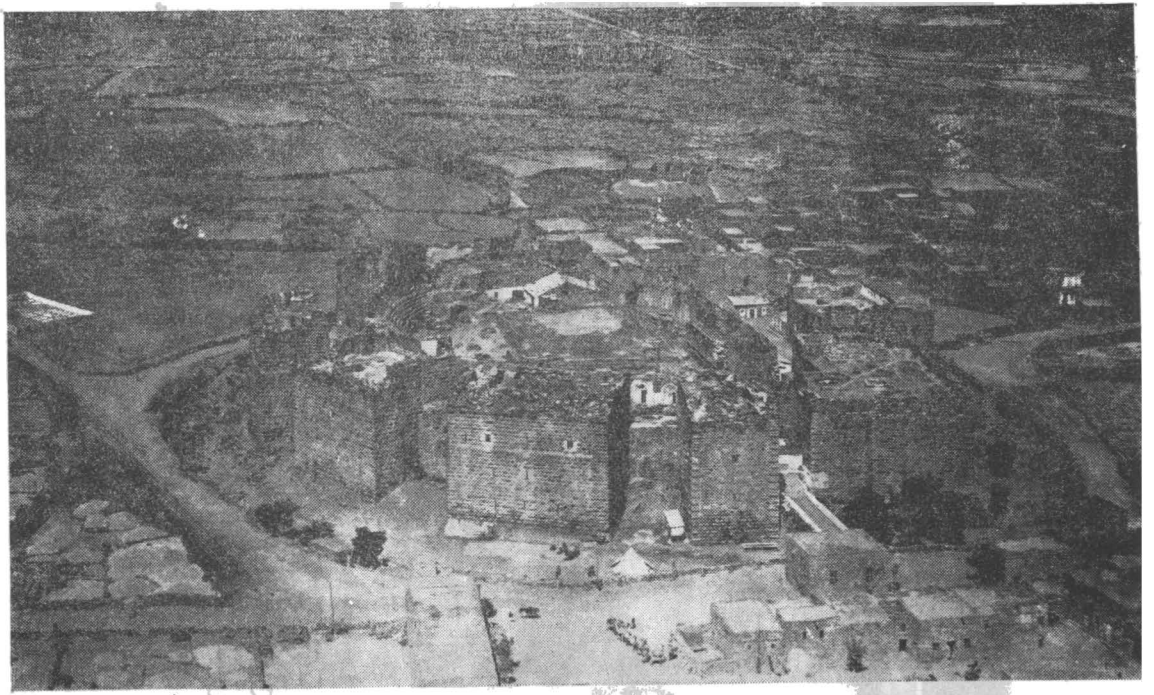

١٣ — منظر عام للقلعة

والسلاطين قاهر الكفرة والمشركين تاج الخواص بهلوان الشام . الب غازي بلكا بك اتابك ابو سعد (أو سعيد ؟) ابن عمدة أمير المؤمنين في شهور سنة اثنى واربعين وخمس ماية . »

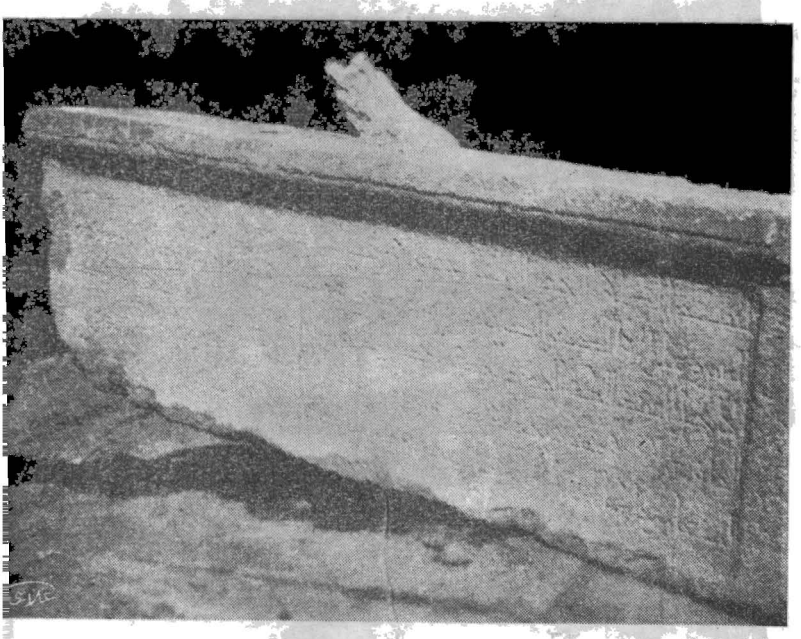

صورة فوتوغرافية للكتابة

ويقع البرج الثالث في الجهة الغربية ويستند على جناح المسرح الغربي وأقسامه الباقية حتى الآن مهددة بخطر الانهيار وكل هذه الأبراج متصلة بأبواب تفتح على النوافذ الرومانية العلوية التي تفتح على الممشى الذي يفصل ما بين القسم الأوسط والقسم العلوي من المدرج .

العهد الأيوبي

عندما اصبحت حوران هدفاً لغارات الصليبيين الذين وجهوا اليها

حملتين الأولى تحت قيادة بودوان الثالث عام ١١٤٠ . والثانية بقيادة بودوان الرابع عام ١١٨٢ . ويظهر ان التحصينات القديمة لم تكن من المناعة بحيث انها تكفي لصد غارات العدو ، أو انها لا تستوعب أفراد الحامية الذين استقدمهم ملوك الايوبيين بعدما أصبحت « دار ملك لهم » لذا باشروا في بناء البرج الأول من أبراجها التسعة بزمن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وأيام ولده الملك شرف الدين عيسى مستهل عام ٥٩٩ للهجرة .

وتمت اشغال آخر برج من أبراجها بزمن الملك الناصر يوسف خليل خلال عام ٦٤٩ للهجرة . وأحاطوا هذه الأبراج التي بنيت كلها خارج التحصينات والابراج الفاطمية الثلاث دون ان تمتد اليها يد التخريب والهدم واحاطوا بخندق عميق ودعموا جدران بعض الابراج من ناحية الخندق بجدران مائلة في عام ٦٠٨ هجرية كما تنص الكتابة الموجودة على دعامة البرج الواقع في الزاوية الشمالية ـ الغربية . ويمر فوق الخندق جسر مؤلف من خمسة أقواس ثابتة يتقدمها جسر من الخشب يرفع عند الحاجة بواسطة حبال مثبتة عند باب القلعة .

وعندما يصل الزائر إلى باب القلعة يجد على يساره ناووس (قبر) يحمل اسم إليودور الذي مات شاباً . وعلى يمينه يرى ناووس كيريلليه وعليه كتابة يونانية يعود تاريخها الى العهد الوثني . وها هي ترجمتها على وجه التقريب .

« مختلف جداً طريق الحياة الذي يتبعه الأموات فأحياناً تحيط بأقدامهم الثروة فيتقدمون بجلال . وأحياناً هي عرجاء وخبيثة ومضايقة

لغيرتها من الأشخاص الطيبين فتعطيهم حياة قصيرة . وهكذا فان جسد كير يلليه الفاتن يستريح هنا ، وإذ امتلكت الحكمة في قلبها والجمال في كيانها قتلها كوكب شرير » .

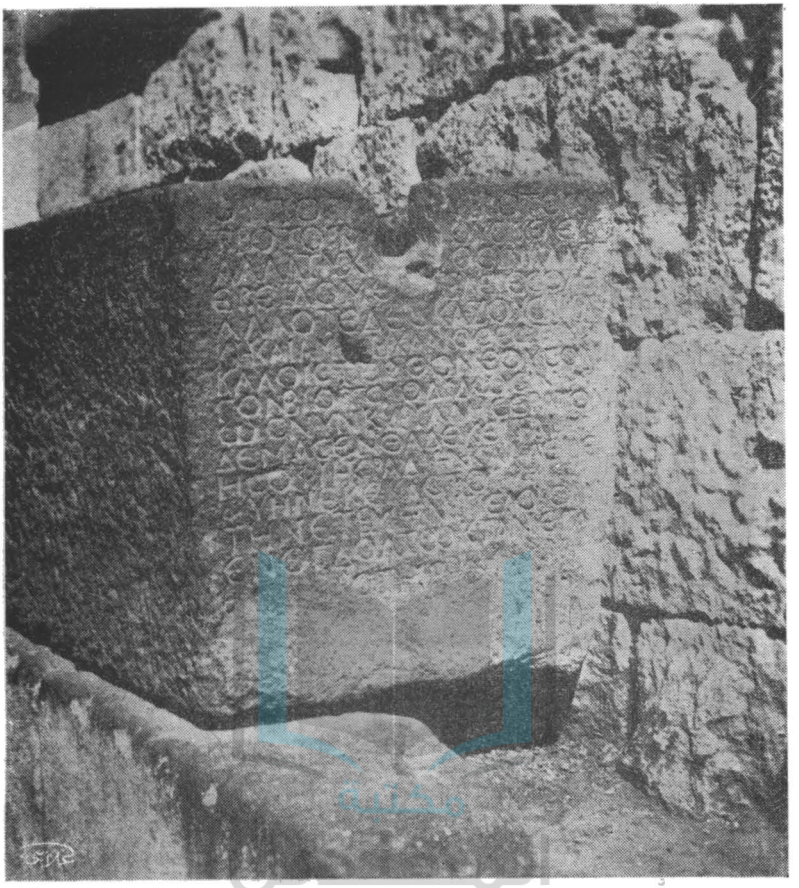

صورة فوتوغرافية لكتابة التبر

وإذا نظر الزائر إلى أعلى البرج الأيوبي الواقع على يساره يشاهد

٢١ — منظر مدخل التلة .

كتابة عربية فوق نافذة البرج المطلة على باب القلعة هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا الملك العادل . سيف الدنيا والدين قامع الكفرة والمشركين . مالك الحرمين الشريفين والبيت المقدس ، والشام ومصر واليمن وخلاط و . . . وسلماس .

ابو بكر بن ايوب خليل امير المؤمنين . بتولي الأمير ركن الدين منكورس الملكي العادلي الفلكي . وكان بدء عمارته في جمادى الآخرة سنة تسع ، ونهاية عمارته في سلخ شهر صفر سنة عشر وستماية . »

وإذا نظرنا إلى عتبة باب القلعة من جهة الداخل . نرى كتابة يونانية يقول عنها رينان انها أجمل الكتابات المسيحية في حوران . ويقول آخرون انها أول كتابة قديمة تحمل اسم العذراء ويبلغ طولها ثلاثة أمتار تقريباً وهذه ترجمتها على وجه التقريب .

« حارس الايمان المسيحي الأمين . والمدافع عنه الشجاع ، رئيس اساقفة ملأ قلبه روح الله ، بنى هذا المعبد الفائق البهاء ، انتيباتر الشهير ، بعد انتصاراته على أعداء الايمان ، ليمجد ويعظم ام الله البتول مريم الفائقة الطهر ، كرسها الف مرة دون أجر بل لاحسانه العظيم . »

ومن أغرب نصوص كتابات القلعة كتابة موجودة على البرج الشرقي ومنها يستدل على مدى اتساع ملك الصالح أيوب الذي بلغ الذروة من الامتداد . واذا قرأنا ماكتبه صاحب الشذرات من انه دانت له الممالك علمنا صحة هذه الألقاب . وهذا نص الكتابة .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، عز لمولانا السلطان السيد الأجل الملك الصالح نجم الدنيا والدين أبي المظفر أيوب بن الملك الكامل محمد بن

أبي بكر بن ايوب سلطان الاسلام والمسلمين ، قامع الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين شاهرمز سلطان العرب والعجم صاحب الحرمين الشريفين ملك البرين والبحرين ملك الهند والسند واليمن ، ملك صنعاء وزبيد وعدن سيد ملوك العرب والعجم سلطان المشارق والمغارب الملك الأعظم نجم الدنيا والدين أدام الله أيامه ونشر في الخافقين اعلامه ، وضاعف اقتداره ، بمحمد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مما عمل في ولاية الأمير الأجل شجاع الدين عنبر الصالحي في سنة سبع واربعين وستماية . »

المستودعات الأيوبية

أما المستودعات الأيوبية المبنية فوق المدرج فعددها ثلاث . فالبناء الأرضي وهو (البئر) لم يعرف تاريخه بعد وهو مبني فوق أرض (الأوركسترا) وتستند اساساته على القسم الأمامي للمسرح من ناحية الشمال وعلى القسم الأول للمدرج من ناحية الشرق والغرب والجنوب . وتصل اليه المياه بواسطة قساطل فخارية مدت إلى البركة الرومانية (بركة الحاج) في العهد الأيوبي ولا تزال معظم أقسام هذه القساطل في مكانها إلى وقتنا الحاضر .

والبناء الثاني (الأوسط) ويسميه الأيوبيون القبو فعلم تاريخه من كتابة موجودة على العضادة الأولى من ناحية الغرب هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا القبو المبارك مولانا السلطان الملـ (ـك) الصالح السيد الأجل العادل المجاهد المنصور ابو الفداء اسمعيل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب رحمه الله في شهور

سنة خمس وعشرين وستماية في ولاية الأمير بدر الدين داوود ابن ايديكين اللالا الصالحي غفر الله له ولجميع المسلمين . »

وإلى جانب هذا القبو من جهة الجنوب يقوم بناء مسجد تدل الكتابة الموجودة على اسكفة بابه انه بني في نفس العام الذي شيد فيه هذا القبو ونقرأ عليها اسم الملك الصالح عماد الدين واسم الأمير بدر الدين داوود وقد عثر أثناء أشغال التعزيل التي أقامتها مديرية الآثار العامة خلال شهر كانون الأول عام ١٩٥٠ على قطع أعمدة مع قواعدها تحت بلاط الجامع الأيوبي .

أما الطابق العلوي من هذا البناء فتستند المهاشي الأيوبية والغرف الصغيرة الملحقة بها على المدرج الأوسط من المسرح ، أما نفس القاعة فتقوم على أساسات البئر والقاعة وتدلنا الكتابة الموجودة على بابها انها بنيت عام ستماية وتسع وعشرين ويطلق عليها اسم الزردخانة وتحمل اسم الملك عماد الدين ابو الفداء اسمعيل واسم الأمير بدر الدين داوود ابن أيدكين ولا تختلف هذه الزردخانة في سعتها وطريقة بناء جدرانها واقوستها عن طراز بناء القبو الذي تعلوه .

المسرح

يجمع هذا الأثر بين قوة البناء وعظمته ودقة الزخرفة وجمالها . وله خصائصه التي لا يشاركه فيها غيره . ولا ريب في ان هذا البناء العالي الشهرة رمز لمجد سوريا القديم وخلود لمدينة بصرى . وهو من اتقن الأمثلة التي تعبر عن بساطة المظهر وروعته ، ودقة الهندسة وجمالها . وعظمة المسرح مقررة معترف بها . فقد أجمع كبار علماء الآثار على

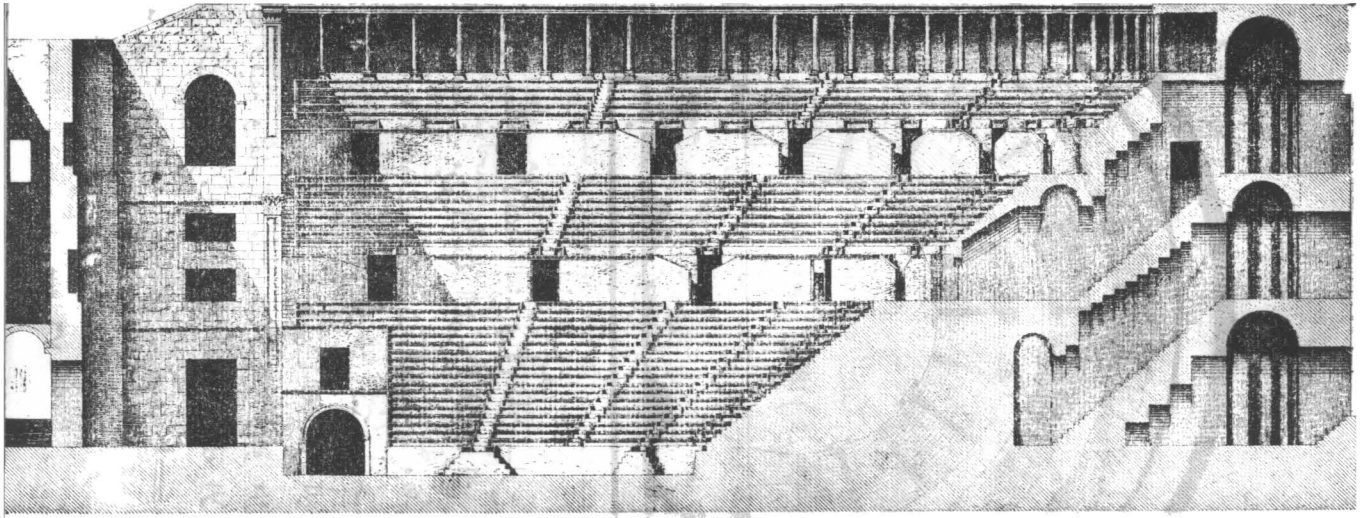

مقطع تأسيسي للمسرح

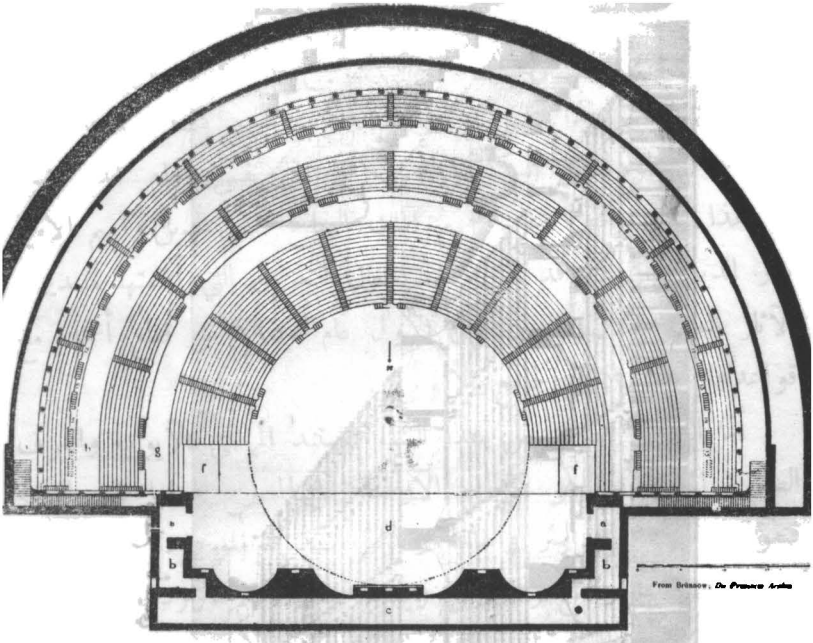

مخطط المسرح

انه من أرقى مظاهر الانشاء البشري في بناء المسارح في آسيا الوسطى . ويعد مسرح بصرى من الأبنية التاريخية القليلة التي حافظت على كامل اقسامها تقريباً ، وصمدت لكوارث الطبيعة . وقد أبدع مهندسوه بالمضاهاة والتماثل في جميع أجزائه التي تستوي جميعها في القياسات وتتفق في الأسلوب والزخرف . فأنى اتجه نظر الزائر فلا يقع إلا على صناعة دقيقة وتفاصيل متينة متناظرة . وهو من الأبنية القليلة في بلادنا التي استهوت الزوار والباحثين فكتب عنه الأستاذ راي في عام ١٨٥٤ ما يلي : « مسرح عسكري كبير وهو اكثر عظمة وضخامة مما كنا ننتظر لاشباع نهمنا الأثري . »

ولما جاء بعده الكونت ملكيور دوفوغيه ذكر عنه في كتابه سوريا الوسطى ما يلي « بني في العهد الروماني وفي القرن الثاني دون شك على مقياس واسع جداً وهذا البناء محفوظ جيداً ، وإذا أمكن تخليصه من الأبنية المحدثة فوقه فانه يعطينا الشكل الكامل لبناء المسارح الرومانية من جهة الداخل اكثر من أي مسرح قديم سواء في الشرق أو في الغرب . ويتوج كامل المدرج رواق علوي مسقوف ، وهذا التنظيم موجود في جميع الملاعب الرومانية ولكنه زال منها جميعاً » .

وأهم الدراسات التى كتبت عنه منشورة في كتاب العالم الألماني بيرنوث (الولاية العربية) الذي حاول دراسة المسرح بصورة مفصلة ووضع له مخططات ومقاطع اعتمد عليها جميع العلماء فيما بعد حتى عام ١٩٤٧ . ففي هذا العام عندما تولى الأمير جعفر الحسني مديرية الآثار العامة بوشر برفع الردم والبقايا المتراكمة فوق مدرج المسرح وبعد أن نال هذا المشروع كل عناية وتوجيه وتشجيع من الأمير جعفر انتقلت أعمال السبر البسيطة إلى مشروع واسع أسفر عن اكتشاف أمثلة جديدة تزود تاريخ بناء المسارح بصفحات جديدة مشرفة ، ونظريات وأدلة في طريقة تنظيم المسارح كانت مجهولة من قبل . فضلا عن ابراز أجزاء كثيرة من بناء المسرح مما يسر التمتع بمشاهدتها . وبالتالي تأكد أن دراسة الاستاذ برنوث ومخططاته كانت سطحية ومشحونة بالأغلاط سواءً في النظريات العامة أو التفاصيل وربما كان لهذا العالم عذره في وقوع مثل هذه الأخطاء للسرعة التي تم فيها عمله وكان معظمه في سبيل الاجتهاد والتخمين . ومن اسعد الصدف أن تكون الأجزاء المفقودة أو المهشمة في بعض أقسام المسرح ، سليمة

وكاملة في الجهة المقابلة ، بحيث انه اصبح من الممكن الحصول على جميع التفاصيل الدقيقة عن حالة المسرح القديمة . ولا يزال العمل في سيره المنتج تحت ادارة وتوجيه مدير الآثار العام الجديد الدكتور سليم عادل عبد الحق فقد ظهرت في أواخر العام المنصرم بقايا نقوش ملونة على الجدران الداخلية للألواح كما برزت للعيان بقايا البلاط الرخامي الذي

زاوية المسرح الشرقية قبل التعزيل

كان يزين واجهة المسرح الخارجية كلها . وهذا الدليل القاطع عن طريقة تزيين المسارح الرومانية مفقود في جميع مسارح العالم القديم .

ولما كانت هندسة هذا المسرح منقولة (مع شيء من الابتكار) عن تصميم المسارح الهلينسية والرومانية كان من المعقول أن نستنتج المماثلة في نظام الحفلات المسرحية فكان للفرقة رئيس ينال مساعدة

من الحكومة وهو الذي يتلقى المسرحية التي يعرضها المؤلف ثم يشير على القاضي بدفع ثمنها . حتى إذا لم تنجح الرواية ولم تنل رضاء الجمهور اضطر المدير أن يعيد ثمنها إلى القاضي ولا تنال الفرقة أي تعويض على جهودها . أما دخول المسرح فكان مباحاً للجميع ومجاناً وللمسرح

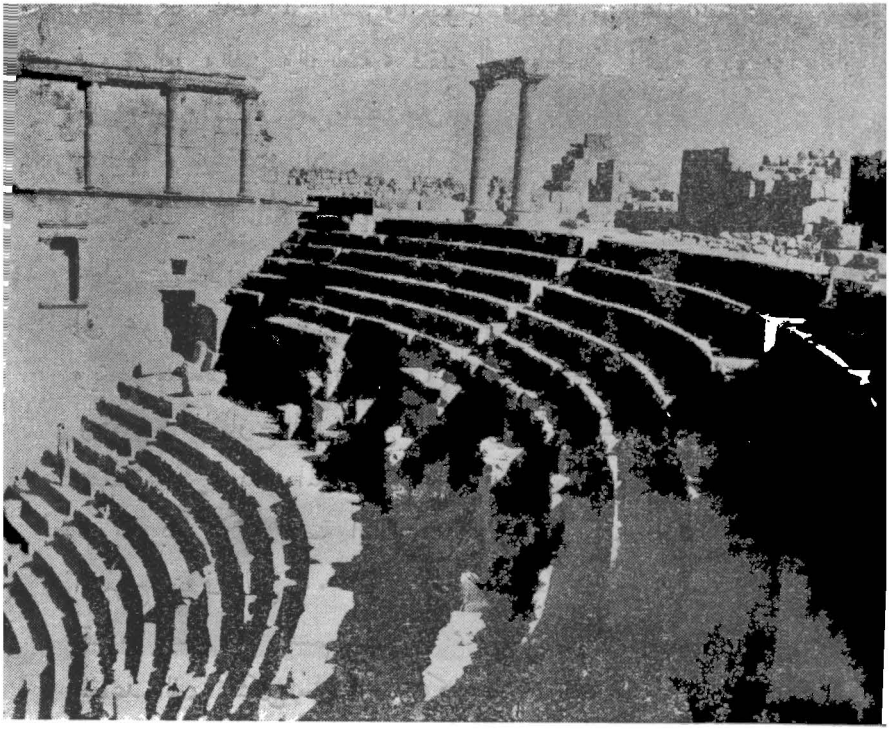

زاوية المسرح الشرقية بعد التعزيل

موظف يسمى وكيل النظام ومن مهامه أن يرشد الداخلين إلى اماكنهم الخاصة على المدرج . ودلت الابحاث والتنقيبات على ان العرب الأنباط الذين لبثوا في بصرى بعد الفتح الروماني كانوا يقيمون في مسرح

بصرى اعياداً موسمية مرة في كل أربع سنوات تشبه ما يعرف الآن بالألعاب الاولمبيه ، فتدعى إلى بصرى وفود عن جميع المدن الكبرى لتشترك في الاعياد والعبادات وتقديم النذور والضحايا لآلهة الانباط الشهيرة ذي الشرى (دوزاريس) وقبل اختتام حفلات الاعياد تقام حفلة تكريمية خاصة لمن أظهروا نبوغاً وتفوقاً من أهالي بصرى في شتى فروع العلم والفن والرياضة ، فتقدم اليهم الجوائز الثمينة ويتوجوا بالغار بين هتاف الألوف من المتفرجين .

لم يعرف حتى الآن فيما إذا كان مسرح بصرى يرتكز على بقايا قلعة نبطية كما يعتقد الاستاذ كليرمون غانو إذ أن الاشغال الجارية لم تصل حتى الآن إلى مستوى أرض المسرح الأساسية . ورفعت اساساته إلى علو ٢٠ متراً تقريباً على شكل يزيد قليلا عن نصف الدائرة ويتجه منتصف المدرج (Cavea) نحو الشمال بانحراف قليل إلى الشرق وهو من المسارح القليلة في العالم التي لا تستند فيها المدرجات على هضبات . فاستناد المدرج على جدار كله أبواب ونوافذ يساعد على تفريغه بسرعة ، خاصة اذا علمنا أن عدد المتفرجين الذين يستوعبهم المسرح ينوف عن ١٥٠٠٠ شخص . وبناء المدرج مقسوم الى ثلاث أقسام يفصل بين القسم والاخر ممشى عريض يحده إلى اليمين ظهر المقاعد الذي يشكل حاجزاً بين كل قسم وتفتح اليه من اليسار الابواب التي يخرج منها المتفرجون إلى الخارج . ويتوج هذه الاقسام رواق علوي يستند على أعمدة من الطراز الدوري لم يبق منها سوى عمودين من الناحية الشرقية (وقد أعادت مديرية الآثار العامة عمودين بجانب الأعمدة السابقة وأربعة إلى منتصف المدرج ونصبتها في مكانها السابق)

والقسم العلوي من المدرج مؤلف من خمس درجات . وعدد درجات القسم الثاني ثماني عشرة درجة أما القسم الاول فلا تزال الاشغال جارية لرفع الانقاض المتراكمة فوق درجاته وقد بلغ عدد ما ظهر منها حتى الآن اثنى عشرة درجة . ومن المظنون أنها ستتعدى الثماني عشرة

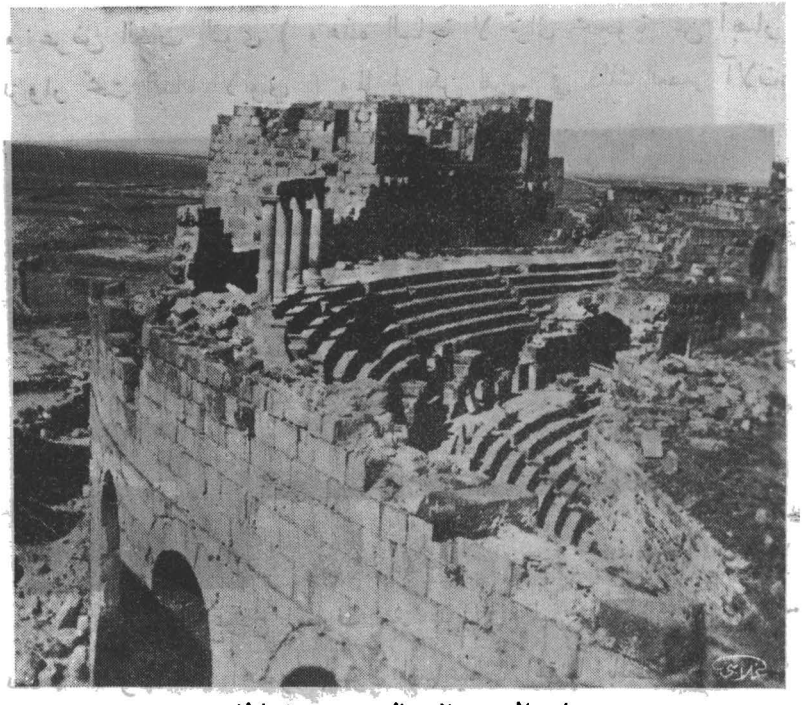

جدار المسرح الروماني من جهة الخارج

درجة . وبعد أن ينزل من المدرج نحو المسرح يشاهد فيه ثلاثة أبواب وهى باب المسافرين والثاني لسكان المدينة والثالث للطبقة العالية ويبلغ عرض المسرح ٤٥ متراً ونصف من جهة الداخل و ٥٤ متراً و ٣٥ س م من جهة الخارج بينما يبلغ قطر نصف دائرة المسرح (١٠٢متراً) .

واعد وراء أبواب المسرح ممشى طويل وفيه ينتظر الممثل إلى أن يحين دوره على المسرح (مما يسمى الان بالكواليس) وتحت المسرح وهو يرتفع عن أرض المدرج الاساسية بمقدار متر ونصف تقريباً خططت ساحة مستديرة الشكل واعدت لجلوس فرق العازفين أو عرض العاب القوى (وهذه الساحة لا تزال محجوبة عن أبصار الزوار تحت البناء الايوبي) ولما لم يكن لديهم في ذلك العصر آلات

نموذج لزخارف عثر عليها في المسرح

تضخم الصوت فقد اهتموا باصول السماعيات اهتماماً بالغاً . فضبطوا شكل البناء العام وعمق المسرح وارتفاعه بالنسبة لجلوس المتفرجين وزينوا حنايا المسرح بطبقتين من الأعمدة والرفاريف الكورنثية تتناول أصوات الممثلين وترددها مضخمة . ويشاهد الآن قسماً من هذه الأعمدة في الحنيّة الشرقية والحنيّة الغربية أمام جدار المسرح ويحمل بعض هذه الأعمدة قطع كاملة لمختلف أقسام الرفاريف من

طنف وافريز . ويشاهد في الحنيّة الشرقية من جهة اليمين خمس الواج أعدت لجلوس الشخصيات المرموقة . ولكنها في الحنيّة الغربيه محجوبة عن الأنظار بجدار أيوبى . ويمكن الدخول إلى اللوج الثاني فيها عند نهاية القسم الاوسط من المسرح في هذه الجهة . ويشاهد في داخل

نموذج لزخارف بعض مقاعد المسرح

هذا اللوج مقعدين من حجر البازالت لم تنقل من مكانها . وفي النافذة الواقعة وراء هذا اللوج والتي تفتح على الدرج المربع الذي يصل اليه يشاهد قطعة صغيرة من النقوش الملونة على الجدار . كما يشاهد أمام

جدار الجهة الشرقية وامام جدار القسم الاوسط من المسرح حيث تتكون الاعمدة طبقة واحدة تعلوها وفاريف بشكل هرمي .. قطع من البلاطر الرخامي الذي كان يزين كامل جدار المسرح ومن المفيد ان نذكر بأنه المدرج بكامله كان يغطى بستائر من الحوير الموشى في الأيام المشـ[illegible] المسرح من الخشب

وهذم [illegible] الملاعب (سيرك) [illegible] الى تبخير الماء [illegible] الستائر ثم يعود [illegible]

ويلاحظ القارئ [illegible] مسرح في هذه الطبيعة [illegible] المخططات التي تضعها [illegible]

إذا [illegible] في قراءة بعض الكتابات [illegible] مجموع الآثار مع مشاهدة بعض [illegible] . ومن أهم هذه الكتابات كتابة تدل على حالة السكان الروحية أثناء الحروب الصليبية ويعود تاريخها على التقريب إلى أوائل القرن السادس للهجرة وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا القرن والمدار المبا[illegible] ركه المولى الملك العادل المؤيد المظفر المنصور أبو[illegible]

هذ المرابط ناصر الحق معين الدين سيف الاسلام بهلوان الشام ألب غازي
بلكابك أتابك ابى منصور أثر عمدة امير المؤمنين وحبسها وأوقفها
لوجه الله تعالى وجعل مستغلها برسم فكاك المسلمين من حبوس الكفار
لمن لا يكون له أهل ولا يقدر على فكاك نفسه ويخص بذلك أهل السنّة والجماعة و
حفظة القرآن فان سهل الله وعدم الاسرى فيصرف المغل في اليتامى والارا
مل والمساكين وأبناء السبيل وألحق بها وأوقف العبد الفقير الى الله سرخك
السدس من الجديدة المعروفة بمرج جراسة على من تقدم ذكره في هذا الو
قف فمن غير شيئاً من هذه الاوقاف او بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين
يبدلونه وقد ظلم نفسه ودخل في سخط الله وفي ذم الحسن والحسين ومن يتعدّ
حدود الله فاولئك هم الظالمون وكان عمارة ذلك على يد العبد الفقير الى الله سرخك

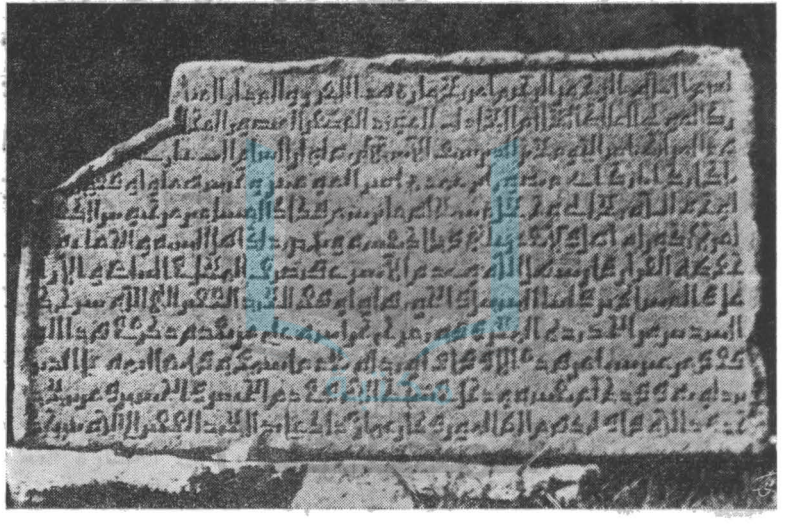

صورة فوتوغرافية للكتابة

وهناك شاهدة تحمل اسم أحد ولاة بصرى هذا نصها :

« لا اله الا الله محمد رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

لمثل هذا فليعمل العاملون

هذا بيت الحق بيت العبد الفقير

الى رحمة الله حسام الدين

لؤلؤ الحقيقي والى

قلعة بصرى عتيق

الملك الأشرف توفى

سنة احدى واربعين وستمايه »

وجاء في بعض النصوص التاريخية « ان الملك العادل جهز اسطولا مصرياً بقيادة الأمير حسام الدين لؤلؤ للقضاء على الاسطول الصليبي » مما يدل على مكانة هذا الامير . ومن الكتابات اللاتينية واليونانية الهامة في بصرى كتابة تحمل اسم الاله « جوبيتير الدمشقي » وثانية تحمل اسم الاله المصري الكبير « آمون » وهي من المكتشفات التي عثر عليها اثناء اشغال التعزيل في المسرح وهذه تقريباً ترجمة الكتابة التي تحمل اسم آمون ويظهر انها كانت في واجهة هيكل أقيم تكريماً لهذا الاله .

« الى جوبيتير العظيم الفائق الحسن

الى سامى القداسة

آمون

ألبيوس تورينوس

أتم نذره » (أي في بناء الهيكل)

٢٢ — ٣٣ الملعب والمدفن

يقع الملعب (ويسميه الاهالي الميدان) جنوبي القلعة ، وهو بناء مستطيل الشكل كان معداً للالعاب الرياضية وسباق المركبات . ولا يظهر من مدرج هذا الملعب شيء يذكر . وقد أشرنا اليه في مخطط المدينة ليأخذ الزائر فكرة عن تنظيمها القديم . وكان صاحب الحفلة أي الموظف الذي يقوم بتنظيم الألعاب يتقدم الجميع في طواف احتفالي يجمع الحيالة أو اللاعبين فيدخل الميدان ويدور حوله بين هتاف الشعب ، ثم يحتل الموظف مركزه فوق شرفة المدخل ، ويشير لفتح الباب فاذا المركبات تخرج بسرعة فتدور عادة سبع مرات متسابقة وتفوز بالسباق المركبة التي تجتاز قبل غيرها في الدورة السابقة خطاً أبيض مسطوراً على ارض الميدان . وفي شرقي بصرى بجانب طريق صلخد اكتشف مدفن عائلة قديم وهو بناء مربع الشكل يرتكز سقفه على قوسين جميلين ، وفيه عدد من التجاويف المعدة لجثث الموتى .

كيف اصاب التخريب ابنية بصرى

في عام ٦١٤ ب م طغا امر الفرس واجتاحوا حوران وقضوا على كثير من مظاهر المدنية فيها . واصاب بصرى شيء ليس بالقليل من هذا التخريب . وفي عام ٩٠٦ ب م دمر القرامطة كثيراً من ابنيتها عندما هاجموا شمال أراضي الأردن . وكانت الخسارة العظيمة أثناء الزلزلة الشديدة التي وقعت في منتصف القرن الثامن للميلاد فقد تساقطت اكثر ابنية بصرى الرائعة التي كانت ولا تزال باقية

إلى ذلك الحين . ولم تسلم آثار بصرى من التشويه والتخريب بعد ذلك حتى جاء في مخطوطة البديري الحلاق أن اسعد باشا العظم لما شرع في بناء القصر المعروف باسمه في دمشق عام ١١٦٣ هـ « نقل من قرية بصرى أحجاراً وأعمدة من الرخام شيئاً كثيراً . »

فيليب العربي

ولد في بصرى . وهذا ما حققه اكثر العلماء لان القول بانه من مواليد شهبا تنقصه الادلة التاريخية . وكان أبوه رئيساً لاحدى القبائل العربية وبعد أن ترعرع وتعلم خرج منها الى اللجا ليعيش مدة من الزمن تحت بيوت الشعر ويمارس العادات البدوية ، فنشأ عالماً فطيناً وفارساً مغواراً . وبحكم ما كان بين سكان بصرى العرب وبين الرومان من معاهدات التحق فيليب بالجيش الروماني فعرف رؤساؤه فيه المقدرة والحزم وفرض عليهم احترامه وتخطى الرتب العسكرية بسرعة كبيرة . والظاهر انه كان يجمع الى الصفات العسكرية والخلقية المتينة احاطة تامة بالحياة الفكرية وخاصة الفلسفية منها مما أهّله لتولي منصب رئيس الحرس البريتوري ، وكان عمره آنئذ خمسة وأربعين عاماً . ولما خلع الجند الامبراطور غودريان عن العرش الروماني نادوا بفيليب امبراطوراً مكانه عام ٢٤٤ م وبينما كان الامبراطور السابق سجيناً بجانب دورا من شمالي سوريا اغتاله جنده فأمر فيليب بحمله باحترام ودفنه في روما . وعندما استتب له الأمر أخذ يدير امبراطوريته الواسعة بدهاء وحزم فعقد الصلح مع الفرس وأعلن العفو العام عن المحكومين السياسيين ونظم طريقة استئناف

الاحكام ومدد صلاحيات الادارة بالنسبة للمجالس الأهلية ، ثم نظم حقوق المحاكم ومجلس الشيوخ وقضى على فوضى تحصيل الضرائب بوضع قانون خاص للجباية ، ثم اهتم باشغال العمران وتعبيد الطرق وتشييد المعسكرات . وكان جلّ اهتمامه موجهاً الى الجزء العربي من امبراطوريته حيث ينزل أبناء قومه وعشيرته . فرفع بصرى الى درجة امهات المدن ومنحها امتيازات كثيرة وألقاباً رفيعة . ثم بنى مدينة شهبا وسماها باسمه (فيليبوليس) . وتنقصنا النصوص الوافية عن تاريخ ايام هذا الامبراطور فنحن نجهل حتى الآن اسمه العربي . وقد شاء القدر أن تحتفل روما بعيدها الألفي في أيام فيليب فنال أهلها شيئاً كبيراً من كرمه وخيراته التي بذلها حتى ضرب المثل بفخامة تلك الاحتفالات التي أقامها . وقد مدح أرستيديس فيليب العربي بقوله أنه كان عادلا مؤمناً وأنه خير رجل يمكن العثور عليه في حدود الدولة وهناك اجماع من المؤرخين على انه خير من تولى العرش أثناء أزمة روما العصيبة وانتهت حياته عندما سقط قتيلا أثناء المعركة التي دارت بينه وبين القائد ديسبوس عام ٢٤٨ م بعد أن قمع ثورة الدانوب .

الفرقة الثالثة البرقاوية

لكي يتمكن الرومان من الاحتفاظ بسيطرتهم على الولاية للعربية والدفاع عن الحدود الجنوبية استقدموا فرق المتطوعة من شتى أنحاء الامبراطورية . وأول فرقة منظمة عسكرت في بصرى كانت الفرقة الثالثة البرقاوية (Legio 111 Cyrénaica) التي عثر في المدينة على مئات الأنصبة التذكارية لجنودها وضباطها . ومن هذه الأنصبة أمكن معرفة

أشياء كثيرة عن تاريخ هذه الفرقة المؤلفة من المشاة والهجانة والفرسان الرومان . ثم تناقص العنصر الروماني فيها دون انقطاع حتى اضمحل ولم تعد تحمل من قوميتها افرادها إلا الاسم . وقد استقدمت من مصر العليا عام ١١٩ م ، كي تعسكر نهائياً في الولاية العربية . وعينت بصرى مركزاً لقيادتها العليا . ثم توزعت قواها على مراكز الحدود الجنوبية ونالت شهرة واسعة ولقبت (بالفرقة التي لم تغلب قط) وأقيم قوس نصر عظيم في مدينة بصرى تخليداً لذكرها وأصلها غير معروف على الضبط ولكنها اشتركت ببعض المعارك وأشغال الطرق في مصر العليا ثم قمعت بقساوة ثورة اليهود على تيطس . وكانت مؤلفة من جنود ومواطنين ومتطوعة ومساعدة وأمن داخلي وشرطة ويبلغ عدد أفرادها ٥٦٠٠ جندي مشاة يتبعها الوية خيالة وهجانة بمعدل ٢٥ بالمائة . وللفرقة قائد يعاونه ضباط أركان حرب . ولكل معسكر قائد مسؤول عن تطبيق النظام الداخلي أما الترفيع والتنزيل والتعيين والطرد والنقل والميرة وتوزيع الألبسة والأسلحة والعلف والاجازة والزواج والمطولية والتعويض والتقاعد فتخضع لقوانين وأنظمة ثابتة .

الراهب بحيرا

جاء في دائرة المعارف للبستاني أن بحيرا راهب نسطوري على مذهب أريوس ونسطور اسمه سرجيس ابن اسكندر وكان ينكر لاهوت المسيح ويقول أن تسميته بأله غير جائزة بل يجب أن يكون كلة . وكان بحيرا قساً عالماً فلكياً ومنجماً وحاسباً فلتماديه بهذه العلوم

حرمه رئيس ديره وطرده من بين الرهبان . فسار هائماً على وجه ودخل دير رهبان طورسينا ، فطردوه ايضاً من الدير فسار الى برية الشام وصار ينذر القوافل بعبادة الله وينهاهم عن عبادة الأصنام . وينسب الكندي الى الراهب بحيرا أموراً متعلقه بالرسل والقرآن كلها ملفقة والاصحة لها . ويقال أنه توفي مقتيلا بدسيسة بعض أشرار اليهود .

ابن كثير (٧٠٠ — ٧٧٤ هـ)

هو عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ولد في بصرى ثم قدم دمشق مع أخيه وله من العمر سبع سنين وسمع ابن الشحنة واسحق الآمدي وابن عساكر والمزي وابن الرضى وطائفته . وتفقه على البرهان الفزاوي والكمال ابن قاضي شهبه . واقبل على علم الحديث والاصول وحفظ المتون والتواريخ حتى برع وهو شاب ، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وشرع في شرح البخاري وغير ذلك . وكانت له خصوصية بالشيخ ابن تيمية وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق . وامتحن بسبب ذلك . وكان كثير الاستحضار حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد وانتفع بها الناس . مات بدمشق ودفن بمقبرة الصوفية عند الشيخ ابن تيمية . وله تفسير الحافظ عماد الدين طبع بهامش فتح البيان في مقاصد القرآن . وطبع حديثاً مع تفسير البغوي .

النقود

كانت بصرى من امهات المدن التي يحق لها صك النقود ، وقد عثر على مجموعة لا بأس بها من هذه العملة التي كثيراً ما قرئ عليها اسم الاله ذي الشرى (دوزاريس) . ومن هذه المجموعة امكن الأستاذ كليرمون غانو تحديد المواسم التي كانت تقام فيها الألعاب (مرة كل اربع سنوات) . وبعد أن كانت نقود بصرى نبطية اصبحت يونانية بزمن تراجان ثم لاتينية بعد ولاية سيفيروس . ومن هذه المجموعة نقود تحمل اسماء رئبال الثاني واوغسطوس وكوموديوس وكاراكلا وسبتموس سيفيروس وماميوس وفيليب العربي وتراجانوس داكيوس .

بصرى على لسان الشعراء

مدح النابغة الذبياني قبيلة الضجاعم العربية بقوله :

لعمرى لنعم المرء من آل ضجعم ... نزور بصرى أو ببرقة هارب
فمن لم تلده بنت أم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد الأقارب

وقال النابغة الذبياني :

كان مشعشعاً من خمر بصرى ... نمته البخت مشدود الختام
نمين قلاله من بيت راس ... الى لقمان في سوق مقام
اذا فضت خواتمه علاه ... ينبيس القمحان من المدام

وقال ايضاً في رثاء النعمان بن الحارث الغساني :

فآب مصلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل
سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم ... ثوى فيه جود فاضل ونوافل

وقال شاعر في وصف سيوف بصرى :

صفائح بصرى اتقنتها قيونها ومطرداً من صنع داود احكما

قال اعرابي :

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا وسالتنا لقيت من رفقة رشدا
اذا ما وصلتم سالمين فبلغوا تحية من قد ظن أن لا يرى نجدا
وقولوا لهم ليس الضلال اجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
وانا تركنا الحارثى مكبلا بكبل الهوى من ذكركم مضمرا وجدا

وقال الصبه ابن عبد الله القشيري :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى بشرقي بصرى نظرة المتطاول
لأبصر نارآ اوقدت بعد هجمة لريّا بذات الرمث من بطن حابل

وقال الرماح بن ميادة :

الا لا تلظى الستر يا أم جحدر كفى بدرى الاعلام من دونا سترا
اذا هبطت بصرى تقطع وصلها واغلقت بوّابان من دونها قصرا
فلا وصل إلا أن تقارب بيننا قلايص يحسرن المطى بنا حسرا
فياليت شعري هل يحلن أهلها برياك تعروري بها عقدا عفرا

مصادر البحث العربية

دائرة المعارف الاسلامية

دائرة المعارف — للبستاني

معجم البلدان — لياقوت

فجر الاسلام — احمد امين

فتوح الشام — للواقدي

الغساسنة — جبور عبد النور

الكتاب المقدس

دواني القطوف — عيسى اسكندر المعلوف

العرب قبل الاسلام — جرجي زيدان

تاريخ شرقي الاردن — ج. بيك

الروضتين في اخبار الدولتين — المقدسي

تاريخ مختصر الدول — ابن العبري

ذيل تاريخ دمشق — القلانسي

تاريخ الكامل — ابن الأثير

تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين — للسيوطي

الكتابات العربية في قلعة بصرى — صلاح الدين المنجد

قصر اسعد باشا العظم — صلاح الدين المنجد

عادات وتقاليد رومانية — الامير موريس شهاب — مجلة المشرق

أدب الوزراء — احمد بن جعفر بن شاذان — مجلة المشرق

السيرة الحلبية	للحلبي
مسالك الأبصار	للعمري
صبح الاعشى	للقلقشندي
امراء غسان	نولدكه
البداية والنهاية	ابن كثير
تاريخ دمشق	ابن عساكر
رحلة ابن بطوطة	
تاريخ سوريا	للمطران الياس الدبس

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

مصادر البحث الأجنبية

Les Arabes Chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VI au VIIe siècles — F. Nau

Les Christianisme dans la province d'Arabie (Vivre et penser) — P. Devresse

Voyage dans le Haouran — G. Rey

Reuceuil d'Archéologie orientale — C. Ganneau

Topographie de Syrie Antique et médiévale — Dessaud — Dech Seyrigue

Répertoire chie d'Eie Arabe — .....

L'Armée Romaine d'Egypte — J. Lesquier

Les parlers Arabes du Horan — J. Cantineau

La Syrie — H. Lammens

Syrie Centrale — Cte de Vogué

La Syrie à l'époque des Mamloukes — G. Demombynes

Pétra et la Naba'ène — Kammerer

Les Inscription de la Mosquée de Bosra — J. Leuvaget

Le Djébel Druze — J. Mascle

Les Druzes — C. N. Bouron

Churches At Bosra — J. W. Crowfoot

Archeological expedition to Syria Section A. Port 4 — Butler

Arabic inscriptions, E, T, S, D S, Enno, Littman

The desert and the soun tales of Syrian Travel — Bell gtrude Lorrthian

A Travers le Hauran et chez les Druzes (extrait du globe) — Sargeuton Galichon, Adélaide Wadington

History of architecture II P

Le culte chez les romains II — Marquardt

Monuments Antiques a orange — Caristie

Etude sur la construction et la disposition du colisée A Guadet

Remarques diverses sur les théatres Romains a propos de ceux d'Arles et d'orange. — J. formigé

Dictionnaire des Antiquités grecques et Romaine M. F. Saglio
L'acropole Charles picard
Manuel d'archeologie Romaine R cagnat et V. chapot
the History of the greek And Roman théater,
Margarete Bieber
Les villes de la pamphylie et de la pisidie
Cte Charles Lanckornski
histoire de l'art Byzantin ch Diehl
Monument d'Architecture byzantin J. Ebersolt
histoire des Sultan Mamlouks Makrizi
La Trace de Rome dans le desert de Syrie A. poidebard
Le théatre Romain de Douga Dr Carton
Le Dictionnaire d'histoire et geographie ecclésiatique
M, R, Aigrain
Die provincia Arabia 3e partie
R, E. Brunnow und A, V, Domaszewski

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الاولى	٣
مقدمة الطبعة الثانية	٥
بصرى في التاريخ	٧
آ — العهد القديم	٧
ب — اليونان	٨
ج — الأنباط	٩
د — الرومان	١١
هـ — الغساسنة	١٤
و — الرسول العربي في بصرى	١٧
ز — فتح بصرى	١٨
ح — بصرى بعد الفتح الاسلامي	١٩
ط — الفاطميون والايوبيون	٢٠
ى — المماليك وبنو عثمان	٢٣
بصرى الحاضرة	٢٥
كيف تزور ابنية بصرى	٢٦
المدينة : مخططها ، تنظيمها العام	٢٨
١ — باب المدينة	٣٠
٢ — قوس النصر	٣٢

الموضوع	الصفحة
٣ — السقاية	٣٣
٤ — الكلية	٣٦
٥ — السوق	٣٨
٦ — ٧ ـ جامع كشتكين ، ونبع الجهير	٣٨
٨ — الجامع العمري	٣٩
٩ — الحمام الأيوبي	٤٤
١٠ — جامع فاطمة	٤٤
١١ — دير الراهب بحيرا	٤٥
١٢ — جامع مبرك الناقة	٤٧
١٤ — الخزانات	٤٩
١٥ — مدرسة أبي الفداء	٥٢
١٦ — العمود النبطي	٥٣
١٧ — الكاتدرائية	٥٤
١٨ — الباب النبطي	٥٩
١٩ — قصر تراجان	٦١
٢٠ — الحمامات الرومانية	٦٣
٢١ — القلعة والمسرح	٦٤
مراحل بناء القلعة	٦٥
العهد الفاطمي	٦٥
العهد الايوبي	٦٨
المستودعات الايوبية	٧٣
المسرح	٧٤

الموضوع	الصفحة
باحة القلعة ومستودع الاثار	٨٤
٢٢ ـ ٢٣ ـ الملعب والمدفن	٨٧
فيليب العربي	٨٨
الفرقة الثالثة البرقاوية	٨٩
الراهب بحيرا	٩٠
ابن كثير	٩١
النقود	٩٢
بصرى على لسان الشعراء	٩٢
مصادر البحث العربية	٩٤
مصادر البحث الاجنبية	٩٦
فهرس الكتاب	٩٨

مطبعة الترقي بدمشق

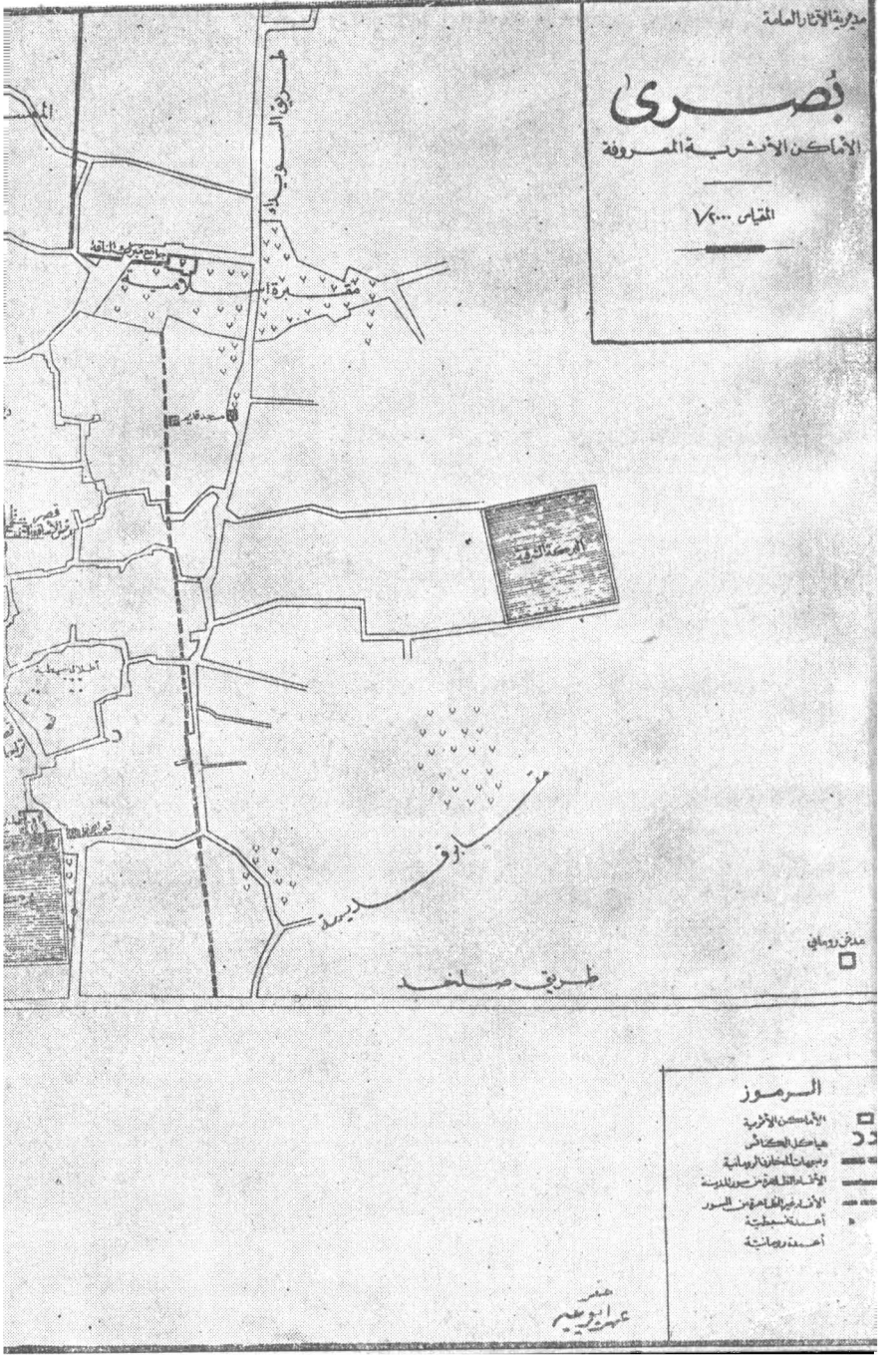
مديرية الآثار العامة
بُصرى
الأماكن الأثرية المعروفة
المقياس ١/٢٠٠٠
مقبرة إسلامية
المدينة القديمة
مقالع حجارة قديمة
طريق صلخد
مدخل رومانى
الرموز
الأماكن الأثرية
هياكل العمائر
وسيبات المخازن الرومانية
الأسوار القائمة حتى الآن
الأسوار غير القائمة حتى الآن
أعمدة تسطيلية
أعمدة رومانية
عبد الرحمن أبو عيد